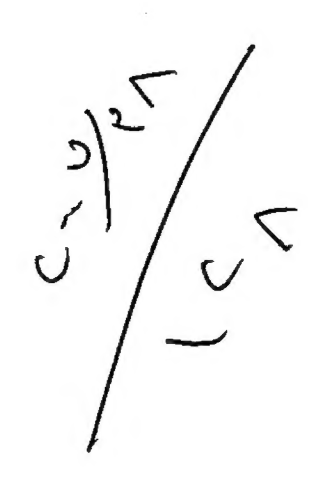
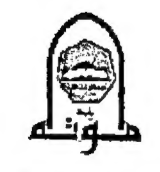




جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

أَيْمَانُ الْعَرَبِ فِي الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ

إعداد الطالب
مالك محمد جمال بني عطا

إشراف
الأستاذ الدكتور علي المحاسنة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2005

بسم الله الرحمن الرحيم



MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب مالك محمد بني عطا الموسومة بـــ:

ايمان العرب في الشعر الجاهلي

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اللغة العربية.**

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. علي المحاسنة		2005/12/20	مشرفاً ورئيسا
أ.د. موسى ربابعة		2005/12/20	عضواً
أ.د. أنور أبو سويلم		2005/12/20	عضواً
د. ماهر المبيضين		2005/12/20	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. أحمد القطامين



MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى والدي ووالدتي حفظهما الله ورعاهما، وإلى زوجتي أم محمد رمز الكفاح والأمــل، وإلى فلذات كبدي آرام ومحمد وموفق وعبد الله، وإلى أخوتي وأخواتي، وجميع أصدقائي أهدي هذا العمل.

مالك بني عطا

الشكر والتقدير

أقف عاجزاً أمام أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور علي المحاسنة، حيث لا أجد مـــن عبارات الشكر والإمتنان ما يفيه حقه، لما أحاطني به من رعاية علمية، وإرشاد وتوجيه، مما كان له الأثر الأكبر في إخراج هذا العمل بالصورة التي هو عليها, كما أتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم والأستاذ الدكـــتور موسى الربابعة و الدكتور ماهر المبيضين المحترمين لتفضلهم بقراءة هذه الدراسة، وتقديم الملاحظات القيمة للتوجيه والنصح والإرشاد مما يثري هذا العمل.

كمـــا أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لزوجتي أم محمد، لما قدمته لي من عون ومساعدة وصبر، مما كان لوقوفها إلى جانبي خير معين ونصير.

وأتقدم بجزيل شكري لجميع أعضاء الهيئة التدريسية في قسم اللغة العربية في جامعة مؤتة، ولجميع الأصدقاء الذين ساهموا في إنجاز هذا العمل.

مالك بني عطا

فهرس المحتويات

المُلخص

أيمانُ العرب في الشعر الجاهلي

مالك بني عطا

جامعة مؤتة، 2005 م

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بأيمان العرب في الشعر الجاهلي، وما شكلته من أهمية عظيمة في نفوس العرب، وتتبع هذه الأهمية من قدسية وعظمة ما كانوا يقسمون به، وقد حاولت جاهداً دراسة هذا الموضوع، لما لاحظته من قلة الدراسات التي تناولته، فرغبت في تقديم دراسة خصبة تقدم وتبوّب لموضوعات القَسَم وتفسرها.

وتشكلت الدراسة من ثلاثة فصول وخاتمة، تحدث الفصل الأول عن اليمين في اللغة والاصطلاح، والأهمية الدينية والقانونية والاجتماعية للقسم، وما يدل على القَسَم في الشعر الجاهلي، وتحدّث الفصل الثاني عن موضوعات القَسَم؛ كالقَسَم بالله، وبعَمْر، وبالأصنام، وببيت الله (الكعبة)، والآباء والأجداد، وأقسام أخرى، ويتحدث الفصل الثالث عن الدراسة الفنية للقسم فيتناول أنواع القَسَم، والغرض منه، والحذف والتخفيف في أسلوب القَسَم، ويتناول كذلك دراسة لأهم الظواهر الأسلوبية التي وردت في أسلوب القَسَم في الشعر الجاهلي، أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي في تناول الموضوع من حيث استقراء المادة من مصادرها ورصدها وتفسير دلالتها وتعليلها.

Abstract

Swearing of Arabs as represented in the pre-Islamic (Jahili) poetry

Malik Bani Ata

Mu'tah University, 2005

This study aims at investigating swearing of Arabs as represented in the pre-Islamic (Jahili) poetry. The importance of this study stems from the significance of swearing in the life of Arabs and the sacred and great status of what they used to swear in. Moreover, there is scant and shortage of literature on this topic.

The study comprises of three chapters and a conclusion. The first chapter discusses the definition of swearing linguistically and idiomatically, and the significance of swearing religiously, lawfully and socially and its prominent markers. The second chapter discusses topics of swearing, such as swearing in Allah, Amr, idols, ka'ba, fathers and grand fathers. The third chapter is actually technical in that it handles types of swearing, there purposes, deletion mitigation of the swearing mode. It also studies the most important stylistic phenomena employed in the pre-Islamic poetry. The conclusion includes all the findings of the study.

The approach employed in handling the topic of this thesis is the analytical approach in the sense of studying the phenomena in its sources, pinpointing it and accounting for it meanings and reasons.

الفصل الأول

اليمين: مفهومه وأهميته وما يدل عليه

1:1 المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإنّ هذه الدراسة تبحث في أيْمان العرب في الشعر الجاهلي، وتعود أهمية هذا البحث إلى خلو المكتبة العربية من مثل هذه الدراسة التي ترصد جانباً دقيقاً من الحياة العربية وهي أيْمان العرب(القَسَم) وتقارنها بالقَسَم في القرآن الكريم وذلك لأهمية القسم في الجاهلية والإسلام.

وتخلو المكتبة العربية من دراسات في هذا الموضوع للوقوف على أصوله، لذلك فإنّ طالب البحث يقف أمام الأنماط اللغوية المختلفة وقفة المتأني، ويرغب في أنْ ينتهي إلى دراسة خصبة تبوب لهذه الأنماط وتفسّرها.

وقد اعتمدت بشكل أساسي في كتابة هذا الموضوع على دواوين الشعر الجاهلي، حيث قمت باستقراء جلّ الشعر الجاهلي، واستخرجت منه الشواهد الشعرية التي تضمنت القسم، ومن ثم قمت بفرز هذه الأبيات الشعرية المختصة بالقسم إلى مواضيع متعددة كالقسم بالله، وبعَمْر، والأصنام، والبيت، والآباء والأجداد وغيرها من موضوعات القسم.

ولقد سعيت جادا قبل الشروع في تناول هذا الموضوع بالبحث عن أي دراسة تناولته بصورة سطحية أو معمقة، إلا أنني لم أجد، ولكنّ الأمانة العلمية تقتضي الإشارة إلى جهد الدكتور نصرت عبد الرحمن – رحمه الله تعالى– في دراسته التي عنوانها (حول دلالة " عَمْر" في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي) ودراسة الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم حول القسم بالنار في كتابه: مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي. ولكنّ هذه الدراسات لم تتناول الموضوع كاملاً بل بحثت جزئيات منه، واعتمدت في تناول هذا الموضوع على بعض الكتب التي أفدت منها مثل: المُفَصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي، وأيمان العرب في الجاهلية للنجيرمي، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي، والوثنية في

الأدب الجاهلي للدكتور عبد الغني زيتوني، ودراسات في القرآن والحديث للدكتور يوسف خليف، وكتب أخرى قيمة كان لها الأثر الواضح في إنجاز هذا البحث.

أمّا منهج البحث، فيعتمد على المنهج التحليلي في تناول الموضوع من حيث استقراء المادة من مصادرها ورصدها وتفسيرها دلالتها وتعليلها إلى جانب المنهج الإحصائي والوصفي في رصد مفردات القسم وتفسير هذا القسم اجتماعياً ولغوياً ودلالياً ورمزياً.

أمّا عن قوام هذه الدراسة فجاء من ثلاثة فصول وخاتمة، على النحو التالي:

الفصل الأول: وقد عرضت فيه لثلاثة مواضيع، خُصص الأول منها للحديث عن اليمين في اللغة والاصطلاح، والثاني للحديث عن أهمية اليمين من الناحية الدينية والقانونية والاجتماعية، والثالث: للحديث عن ما يدل على القسم في الشعر الجاهلي ورصد بعض مفردات القسم التي استخدمت في الشعر الجاهلي.

الفصل الثاني: وقد تناولت فيه موضوعات القسم، كالقسم بالله، والقسم بالأصنام، والقسم بعمر، والقسم ببيت الله (الكعبة)، والقسم بالآباء والأجداد، والقسم بالهدي والأنصاب، والقسم بالنار والملح والرماد وأقسام أخرى، وقد حاولت في هذا الفصل تفسير هذه الأقسام من حيث أهمية المقسم به كقدسيته وعظمته وعلاقته بمن يقسمون به ودلالة هذه الأيمان بالنسبة للشعراء الجاهليين وأوردت الشواهد الشعرية الدالة على هذه الأيْمان.

الفصل الثالث: وقد خصصته للدراسة الفنية للقسم، فتناولت أنواع القسم (الصريح والمضمر) والغرض من القسم، والحذف والتخفيف في القسم ودرست في هذا الفصل بعض الظواهر الأسلوبية في القسم في الشعر الجاهلي والأنماط التركيبية لها، وأوردت الشواهد الشعرية التي توضح هذه الظواهر والأنماط.

أمّا خاتمة الدراسة: فقد تضمنت النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وفي الختام، اسأل الله ﷻ التوفيق إنْ أصبت والمغفرة إنْ زللت، فهذا جهدي المقلّ، وحسبي أنني حاولت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

2:1- اليمين في اللغة:

اليمين في اللغة مفرد جمعه أيْمُن، وأيْمَان، وأيامن، وهي ضد اليسار للجهة – والجارحة، وتأتي اليمين بمعنى القوة والقدرة، ويقال لليد اليمنى يمين ومنه قول الشماخ:

رَأيتُ عَرابَةَ الأَوسيَّ يَسمو إلى الخَيراتِ مُنقَطِعَ القَرينِ

إذا ما رايَةٌ رُفِعَت لِمَجدٍ تَلَقّاها عَرابَةُ بِاليَمينِ

وعنى باليمين في هذا البيت بالقوة،[1] وكذلك قول الله عز وجل:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾[2]

واليمين: الحلف والقسم، فنقول حَلَفَ أي أقسم يَحلِفُ حَلفاً وحِلفاً وحَلِفاً ومَحلُوفاً، والقسمُ بالتحريك: اليمين وكذلك المُقسَمُ وهو المصدر مثل المُخْرج، والجمع أقسام، وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه: حلف له، وتقاسم القومُ: تحالفوا. وأقسمتُ: حلفتُ[3]

وسُمي الحَلْف يميناً، لأنّ العرب كانوا إذا تحالفوا أخذ كلٌّ بيمين صاحبه، وقيل لأنّها تحفظ الشيء كما تحفظه اليمين.[4] قال ﷺ:" يمينك على من يصدقك به صاحبك"[5]

3:1- اليمين في الاصطلاح:

لقد عرّف العلماء اليمين في الاصطلاح تعريفات عدّة متقاربة، فقد عرّفها صاحب العناية بأنّها:"عقد قوي به عزم الحالف على الفعل أو الترك".[6]

---

1) انظر لسان العرب والمعجم الوسيط: مادة: يمن

2) سورة الحاقة الآيات 44، 45

3) لسان العرب مادة (حلف) مادة قسم

4) فقه السنة: 9/3

5) نيل الاوطار: 111/9

6) شرح العناية على الهداية: 5/ 59وانظر سيد سابق: مرجع سابق: 9/3.

وعرفها الإمام البغوي بأنّها:"تحقيق الأمر أو توكيده بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته".[1] وعرفها ابن حجر العسقلاني بأنّها: "توكيد الشيء بذكر اسم أو صفة لله".[2]

وعرفها الإمام الشربيني بأنّها:"تحقيق أمر غير ثابت ماضياً كان أو مستقبلاً نفياً أو أثباتاً، ممكناً أو ممتنعاً، صادقة كانت أو كاذبة، مع العلم بالحال أو الجهل به".[3]

ويبدو من مطالعة التعريفات السابقة أنّ تعريف الإمام الشربيني أشمل التعريفات السابقة، لأنه يدخل فيه جميع الأيمان، كالحلف بالله تعالى أو صفة من صفاته، أو الحلف بالأنبياء والأولياء والآباء والأجداد والمزارات والقبور وكل ما هو معظم عند الإنسان.

4:1- أهمية اليمين:

لليمين أهمية كبيرة من الناحية الدينية والقانونية والاجتماعية؛ فمن الناحية الدينية اليمين مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع، دليل مشروعيتها في كتاب الله تعالى قوله ﷻ: **﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾**.[4] وقوله ﷻ **﴿وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾**.[5] وقولهﷻ **﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾**.[6] ففي هذه الآيات حثٌّ على الوفاء بالأيمان وعدم الحنث بها، ونجد فيها أيضاً أنّ القسم جاء تأكيداً على حدوث الأشياء.

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة تفيد بأنّ النبيﷺ كان يقسم بالله تعالى في بعض الأحيان، فمن قوله ﷺ:" ألا إنّ الله ينهاكم أنْ تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت".[7] وقوله ﷺ :لا تحلفوا بالطواغيت، ولا

---

[1]) اليمين والآثار المترتبة عليه: 6

[2]) المصدر السابق: 5

[3]) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: 320/4.

[4]) سورة المائدة: الآية 89

[5]) سورة النحل: الآية 91

[6]) سورة سبأ: الآية 3

[7]) رياض الصالحين:271

بآبائكم".[1] وقوله أيضاً: " إنّي والله إنْ شاء الله لا أحلف على يمين، ثم أرى خيراً منها إلا كفّرت عن يميني، وأثبت الذي هو خير ".[2]

ومن هنا فإنّ اليمين مشروعة وجائزة، إذا كان القسم بالله تعالى، وإنه يجب الوفاء بها، ومن حنث بها وجبت عليه الكفارة.

وتكون اليمين فرضاً واجباً على المسلم في حالة إنقاذ حياة إنسان مسلم من الهلاك أو أن ينجي الحالف بها نفسه، وتكون واجبة في دعاوى القتل، لأنّ المسلم إذا امتنع عن الحلف يظلم نفسه أو يظلم إنساناً بريئاً.

ويكون اليمين مندوباً في حالة اصلاح ذات البين بين الناس وإزالة البغضاء والحقد في قلب المسلم عن غيره أو دفع شر من الشرور التي تهدد المجتمع الإسلامي ويكون اليمين مباحاً إذا كان المحلوف عليه فعلاً مباحاً كأنْ يحلف الحالف أنْ يشرب الماء أو إذا طلب القاضي من الإنسان أنْ يحلف على شيء لإثبات حق له.

ويكون الحلف مكروهاً إذا كان المحلوف عليه مكروهاً، كأنْ يقسم على ترك صلاة الضحى، ويكون اليمين محرماً إذا كانت على فعل حرام أو ترك واجب، أو كان الحالف كاذباً [3]

وتُقْسَم اليمين من حيث الأثر المترتب عليها إلى أقسام عدّة منها: اليمين المنعقدة:وهي الحلف على أمر في المستقبل أنْ يفعله، وذلك كقول القائل: والله لأفعلن كذا _أو والله لأفعل كذا وكذا. وإن لم يفعل ما تعهد بفعله يكون حانثاً باليمين، وجبت عليه الكفارة.

وكذلك هناك يمين الغموس وقد يكون بصيغة النفي أو الإثبات وهذه اليمين هي كل يمين متعمد صاحبها الكذب، وقال بعض الأئمة أنّه لا كفارة فيها وليس فيها إلا التوبة والاستغفار، واليمين اللغو:وهي اليمين التي نص القرآن الكريم على عدم

---

[1]) المرجع السابق، ص 271.

[2]) المرجع السابق، ص 272

[3]) فقه الأيمان والنذور: 15-18.

المؤاخذة عليها وهي اليمين التي لا يقصدها الحالف وذلك مثل ما يجري على ألسنة الناس في كلامهم من غير قصد اليمين.[1]

ولقد وضع الفقهاء شروطاً للحالف، منها: أنْ يكون الحالف عاقلاً بالغـاً، وأنْ يكون مختاراً لا مكرهاً على اليمين، وأنْ يكون الحالف قاصداً لليمين، أمّا إذا لم يكن الحالف قاصداً كأن يكون مخطئاً أو ناسياً أو قالها وهو نائم. فـإنْ اجتمعـت هـذه الشروط في الحالف تصح اليمين وتُعَدُّ منعقدة.

وفيما يخص المقسم به، فإنّه لا يجوز الحلف بغير الله تعـالى أو صـفة مـن صفاته كالحلف بالأنبياء و الأولياء و الملائكة والكعبة، وكـذلك لا يجـوز الحلـف بالآباء و الأجداد و الأبناء، كأن يقول الحالف: ورحمة أبـي، أو وحيـاة أولادي، أو وروح جدي، وما شابه ذلك، فمن حلف بمثل ذلك لا تعتبر أيْماناً ولا يجـب الوفـاء بها، ولا تلزمه الكفارة، ويكون آثماً. ومن الأيْمان الباطلة، والتي لا يجوز الحلف بها مطلقاً، الحلف بالشرف أو الوطن، أو بحياة الملوك و الرؤساء والأمراء.[2]

وقد ورد القَسَم في القرآن الكريم في مواضع عدة، سواء كان القسم صـريحاً أو مضمراً وقد حظيت السور المكية بالنصيب الأوفر من القَسَم، و يعود ذلك إلى أنّ هذه المرحلة شهدت حملات الرفض والإنكار لهذه الدعوة والتشكيك فيما جـاء بـه الدين الإسلامي من أمور غيبية جديدة على العرب لم يكونوا على استعداد لتقبلها، أو في أمور روحانية لم تهيء لهم حياتهم المادية فرصة الاقتناع بها. فـالقرآن الكـريم جرى على عادة العرب في القسم إذا أرادوا توكيد أمر في مواجهة من ينكره.

فقد أقْسَم الله ﷻ بذاته في القرآن الكريم:﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِـينَ، عَمَّـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[3] وأقْسَم الله تعالى بالقرآن الكريم في خمسة مواضع:

كقوله تعالى: ﴿**يس، وَالقرآن الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[4]

---

[1]) اليمين والآثار المترتبة عليه: 12-14

[2]) فقه الأيمان والنذور:31-32.

[3]) سورة الحجر: الآيات (92-93)

[4]) سورة يس: الآيات 1-3 وانظر أيضاً سورة ص:1، وسورة الزخرف: 1-2، سورة الـدخان 1-3، وسورة ق:1

وأقسم الله تعالى بالنبي محمد ﷺ في قوله: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1] وأقسم الله سبحانه وتعالى بآياته ومخلوقاته ، فأقسم الله بالملائكة،[2] وأقسم سبحانه بالخيل،[3] وبمظاهر الطبيعة الدالة على بديع صنعه وعظيم قدرته ، فأقسم بالسماء والأرض وبالشمس والقمر والنجوم والكواكب، وأقسم بالليل والنهار ومراحلهما المتعاقبة: الفجر والصبح والضحى والعصر والشفق.[4] وأقسم سبحانه وتعالى بالريح والسّحاب والبحر والجبل،[5] وأقسم سبحانه بالأماكن المقدسة،[6] وأقسم سبحانه بيوم القيامة، والنفس السوية والنفس اللوامة، وأقسم بالقلم وبالكتاب.[7]

واليمين من الناحية القانونية والقضائية هي إشهاد الله تعالى على صدق ما يقوله الحالف أو عدم صدق ما يقوله الخصم الآخر، وبما أنّ اليمين عملاً دينياً فإنّ لمن يُكلَّف بحلف اليمين أنْ يؤديها وفقاً للأوضاع المقررة في ديانته إذا طلب منه ذلك، يكون أداؤها بأن يقول الحالف ((والله)) ويذكر الصيغة التي تقرّها المحكمة.

واليمين طريق غير عادي للإثبات يُلجأ إليها إذا تعذر تقديم الدليل المطلوب، عندئذ يحتكم الخصم إلى ذمة خصمه بيمين حاسمة يوجهها إليه أو يوجه القاضي يميناً متممة إلى أي من الخصمين ليكمل ما في الأدلة المقدمة من نقص.

فاليمين القضائية التي توجه إلى الخصم وتُحلَفُ أمام القضاء وقد تكون غير قضائية وهي التي تؤدى خارج مجلس القضاء أمام أشخاص قد يتفق عليها الطرفان، وتخضع للقواعد العامة في الإثبات بشأن الاتفاق عليها.

---

1) سورة الحجر: 72

2) سورة الصافات:1-2، وانظر أيضاً سورة النازعات(1-5)

3) سورة العاديات: الآيات 1-5)

4) سورة الشمس (5-6) وسورة الطارق (11-12) وسورة الذاريات(7) والبروج:1، والطارق (1-3) والشمس (1-4) والليل (1-2) والفجر(1-4) والضحى (1-2) والعصر (1-2) والانشقاق (16-18)والمدثر(32-34) والنجم (1) والتكوير (15-18) والواقعة (75-76)

5) سورة الذاريات (1-4)، والمرسلات (1-3)، والطور(1، 6).

6) سورة التين (1-3)، سورة البلد (1-2).

7) سورة القيامة (1-2)، والبروج (1-2)، والشمس (7-8) والقلم (1) والطور (1-3).

وتقسم اليمين القضائية إلى نوعين:

اليمين الحاسمة وهي التي تؤدي إلى حسم النزاع، وإنهائه، واليمين المتممة؛ وهي التي يكون دورها في الإثبات هو مجرد تكميل أدلة مقدمة في الدعوى، واليمين الحاسمة هي التي يوجهها أحد المتداعين لخصمه ليحسم بها النزاع وهي يمين يوجهها الخصم إلى خصمه إذا أعجزه الدليل ليحسم بها النزاع، فلا تعتبر دليلاً على صحة ما يدعيه الخصم وإنما وسيله احتياطية يلجأ إليها الخصم محتكماً إلى ذمة خصمه وضميره، فإذا حلف من وجهت إليه اليمين خسر دعواه، فهي بمثابة اتفاق بين الخصوم من شأنه أنْ يحسم النزاع، وهي حق من حقوق الخصوم ولا يجوز للمحكمة أنْ توجهها من تلقاء نفسها، وإذا حلف اليمين من وجِّهت إليه كان مضمون الحلف حجة ملزمة للقاضي فيحسم النزاع ويخسر من وجَّه اليمين دعواه.[1]

أمّا اليمين المتممة: فهي اليمين التي يوجهها القاضي إلى أحد الخصوم ليكمل بها اقتناعه، إذا كانت الأدلة التي قدمها لإثبات دعواه غير كافية، وللقاضي في توجيه اليمين المتممة دورٌ إيجابيٌ في الإثبات، يبيح له إذا لم يقدم أي من الخصمين دليلاً كافياً على ما يدّعيه، أنْ يختار من يرجح عنده صدق قوله، فيوجه إليه يميناً يُتممُ بها أدلته غير الكافية، ولذا سميت باليمين المتممة ولا يجوز للخصم الذي وجّه إليه القاضي اليمين المتممة أنْ يردها على خصمه ولليمين المتممة صور خاصة هي: يمين الاستظهار، وعند الاستحقاق، ورد المبيع لعيب فيه، وعند الحكم بالشفعة.[2]

ولليمين من الناحية الاجتماعية دورٌ كبيرٌ في انضباط الفرد والجماعة لخشيتهم من العواقب الوخيمة، والانتقام الإلهي، إذا ما حلفوا كذباً وزوراً، ويعتقد الناس أنّ الحالف وطالب اليمين لا يسلمان من العقوبة، لذا نسمعهم يقولون:" يا ويل الحالْف يا ويل المُحلّف" وذلك أنّ الحالف كذباً يلقى جزاءه بتعديه على حدود الله سبحانه وتعالى، أما المحلف (أي طالب اليمين) فلأنّه يعلم أنّ الحالف كاذبٌ، وبالتالي

---

[1]) البينات في المواد المدنية والتجارية: 165 -167

[2]) المصدر السابق: 180-193

فقد ساهم في خرق حرمة من حُرمات الله عز وجل وحدوده، فلا بد أنْ يلقى جزاءه بالإنتقام ويصيبه الويل كما أصاب من حلف.

كل هذه تؤدي إلى الانضباط الفردي والجماعي في التنظيم الاجتماعي، فهم يرون أنّ الانتقام الإلهي لا يقتصر على الفرد بل يتعداه إلى أولاده وكل من لهم به علاقة من أقاربه الذين لم يأخذوا على يده وهذا بدوره يؤدي إلى تقوية أواصر القربى، ويخدم الغرض الاجتماعي لحياة الإنسان، وبالتالي فإنّ الأمر الذي يخلفه يمين يتجنبونه، فيساهم هذا في التقليل من الجريمة، وغيرها من أمور أخرى.

وفي حياتنا اليومية، نسمع الكثير من الأيمان على السنة الناس في شتى المجالات والأمور الحياتية فهناك من يحلف بالله ﷻ، وهناك من يحلف بالأنبياء والكعبة (بيت الله)، ومن يحلف بالآباء والأجداد وقبورهم وأرواحهم، والبعض يحلف بأولاده، ومنهم من يحلف بفريضة الحج التي أدّاها، ونجد الحلف بالشرف والعرض، ومن الناس من يحلف بأشياء لها مكانة بين الناس كالشارب وغير ذلك من الأيمان، ولكن هناك تفاوت بين الناس في الالتزام بأيمانهم وما قطعوه على أنفسهم من عهود ووعود.

وللبيئة التي يعيش فيها الناس دورٌ كبيرٌ في ذلك، فنجد أنّ للأيمان عند ابن القرية أو الريف من أبناء العشائر الملتزمين بالعادات والتقاليد قدسيةً عظيمةً يحسبون لها ألف حساب ولا يجوز الحنث بها ولها دلالة اجتماعيةٌ عاليةٌ في نفوسهم فإذا أمسك الرجل منهم بشاربه وحلف به، فإنّه يفي بيمينه تحت كل الظروف المحيطة به، لأنّه إذا حنث بيمينه فقد مكانته الاجتماعية بين الآخرين واهتزت صورته، ويصبح هذا اليمين الكاذب عاراً عليه.

أمّا أبناء المجتمعات المدنية الأكثر تطوراً وحضارة، فإنّنا لا نجد هذا الالتزام، ولا نجد هذه المكانة الاجتماعية لليمين، ولا نلمس هذا النوع من الضبط الاجتماعي.

ومن هنا كان دافعي للتركيز على اليمين في المجتمعات البدوية، لأنّ نظام الحلف أو أداء اليمين من النظم السياسية التي تحتل أهمية وظيفية بالغة في البناء الاجتماعي ليس فقط لما يؤديه من دور في تسوية المنازعات التي تغيب فيها الأدلة أو الشواهد والبينات في مجتمع يفتقر إلى الوسائل العلمية في التحقيق، ولكنه يُبرز

مدى الوحدة والتماسك بين الوحدات القرابية والعرقية المتمايزة في الوحدة الثأرية الواحدة.[1]

ويقوم نظام الحلف في المجتمع البدوي على أساس البّينةُ على من ادّعى واليمين على من أنكر، فاليمين يُعتمد عليه بديلاً لشهادة الشهود في إثبات الدعوى، فإذا أتُهم شخص بتهمةٍ ما فعلى المُدّعي إثبات التهمة بتقديم الأدلة الدامغة أو يقوم بحلف اليمين، والمتهم أيضاً عليه إثبات براءته، وإذا أنكر فعليه اليمين، فإذا حلف عُدّ بريئاً وإذا نكل أُلزم بما ادّعى به المدعي.

والقسم عند البدوي من أرهب الأمور وأقدسها، ولا يقدمون عليه إلا مكرهين؛ لأن البدوي تملك عقله الخيالات المختلفةِ، والتصورات المرعبة، والأوهام المفزعة عن اليمين والقسم، ولا سيما التهرب من اليمين، ولو كان به صادقاً، ويهاب اتخاذ المولى وأنبياءه، شاهداً على صحة قوله أو فعله.[2]

فاليمين مقدس عند البدو، والويل كل الويل للرجل الذي يحلف كاذباً، فإنّ قَدْره يتزعزع بين البداة، وتسوء سمعته، ولا يعودون يقبلون له شهادة أبداً، ومهما كان مبلغها من الصحة، والبدو لا يقبلون يمين أيٍّ كان، لا سيما في المسائل الهامة فإذا كان القَسَم حول قضية من القضايا ذات الأهمية، فلا يمكن قبوله إلا بعد تزكية صاحبه من شهود عدول.

ولليمين عند البدو دور روحي كبير، فإذا حدث للشخص الحالف أو أحد خمسته شيء ضار، بعد حلفه اليمين، كأنْ وقع في مصيبة أو مات أحد أفراد عائلته أو مرض، عزوا ذلك إلى الانتقام الإلهي من هذا الشخص وإنه لو لم يكن كاذباً، لما حدث له ما حدث فالبدوي يتطير ويخاف جداً إذا حلف كاذباً أو إذا أُجبِر على اليمين، وهو يعلم أنّه كاذب سلفاً، لذا فإنّه يفكر ألف مرة قبل أنْ يقترف مثل هذه الجريمة، فهم يرون حتى في حالة الاعتراف فإنّ العقوبة البشرية لن تكون بفضاعة العقوبة الإلهية التي تترتب على ذلك.[3]

---

[1]) مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية: ص 200

[2]) الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي: ص 243.

[3]) من الأدلة القضائية عند البدو في الأردن، ص 122

أنواع اليمين عند البدو:

الحلف بالرأس: فيضع المدّعى عليه يده على رأس المدّعي ويُقْسِم بثلاث كلمات أولها الله وأخرها الله.

الحلف بالحزام: يضع المدّعي يده في حزام المدّعى عليه ويحلف.

الحلف بالعود: فيمسك الشاهد عوداً ويقول: " وحياة هالعود والرب المعبود، ومن خضره ويبسه، إني رأيت كذا وكذا...) أو يقول:" وحياة هالعود ولا أنشف زيه " أو يحلف على الخبز ويقول:" وحياة هالنعمة".

ومن أيْمانهم كذلك: (والله وصلاة محمد)، (وحلاّبات الحليب، ونسّافات العسيب، وبالنسا وما تجيب...) ونسافات العسيب هي النوق (وحق باري البرية، قاطع المال والذرية، ذقتني من هذا بريه..) وحياة هالغيث اللي دارِب من السما.)، (وحياة السيف والمصحف)[1]

من خلال استعراض اليمين عند البدو، فإنّني أجد تشابهاً مع الأيمان في العصر الجاهلي، فنجد القسم بالله وبكتابه وبالبيت الحرام والأبناء والآباء والأشخاص الذين لهم مكانة بين الناس وغيرها من الأيمان، ولعل هذا التشابه سببه هو تشابه الظروف المعيشية لكلا الجانبين، والالتزام بالعادات والتقاليد الدينية والاجتماعية، ولما يشكله اليمين عند مثل هذه المجتمعات من ضوابط اجتماعية، تجعل لليمين قدسية ومهابة مما يدفعهم إلى الالتزام به، وعدم الحنث بأيمانهم.

5:1- ما يدلُّ على القسم في الشعر الجاهلي.

هل عرف العرب الجاهليون القسم ؟

الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية، نجد فيه الصورة الصادقة لعادات العرب وتقاليدهم ومثلهم ومعتقداتهم وآمالهم وآلامهم، فكان هذا الشعر وثيق الصلة بحياة العرب، فمن خلاله استطعنا أنْ نقف على كثير من الأمور التي لولا وجود الشعر لما عرفناها، فالشعر الجاهلي يبين لنا الحياة السياسية في ذلك العصر واتصال العرب بالأمم الأخرى، والحياة الاجتماعية والصلات القبلية، والحياة الخُلقية والحياة الدينية والعادات والمعتقدات التي سادت في ذلك العصر.

---

[1]) الحياة الاجتماعية عند البدو (مرجع سابق)، ص 244.

ومن خلال استقرائي لكثير من دواوين الشعر الجاهلي، فقد وقفت على بعض الألفاظ التي كانت تردُ في شعر بعض الشعراء الجاهلين ما يدل على معرفة العرب بالقَسَم، وما كان له من مكانة ومهابة في نفوسهم، ومن هذه الألفاظ التي دلت على معرفة العرب بالقسَم:(أقسمتُ، حلَفتُ، يميناً، أقسم، حَلفَة، آليت، قسماً، أيمَان، وأيْمُن..)، ومن الأمثلة على ذلك، قول الأعشى: (1)

فَأُقْسِمِ إنْ جَدَّ التقاطُعُ بيننا   لِتَصطَفِقَنْ يَوماً عَلَيكَ المَآتِمُ

وقول عامر بن الطفيل: (2)

وَأقسمتُ لا يَجْزِي سُمَيطٌ بِنِعمَةٍ   وَكَيفَ يُجازِيكَ الحِمارُ المُجَدَّعُ

وتقسم الخرنق بنت بدر بن هفانّ: (3)

ألا أقسمتُ آسى بَعَد بِشرٍ   على حَيٍّ يَموتُ وَلا صَديقِ

وقول طرفة بن العبد(يذكر القسم): (4)

كَقَنطَرَةِ الروميِّ أقْسَم رَبُّها   لَتُكْتَنَفَنْ حَتّى تُشادَ بِقَرمَدِ

وقول الحادرة: (5)

وَلَدَيَّ أَشعَثُ باسِطٌ لِيَمينِهِ   قَسَماً لَقَد أنضَجتَ لَم يَتَوَرَّعِ

ومن الألفاظ التي دلت على القسم في الشعر الجاهلي (حلفتُ، حَلفَة...) فيقول الأعشى: (6)

---

1) ديوان الأعشى الكبير، ص 341

2) ديوان عامر بن الطفيل، ص 116

3) ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان: ص5

4) ديوان طرفة بن العبد: ص 8

5) المفضليات: ص46

6) ديوان الأعشى: ص 167

كَحَلْفَةِ مِن أبي رِياحٍ   يَسمَعُها لاهُهُ الكُبارُ

وقول النابغة الذبياني: (1)

حَلَفتُ يَميناً غَيرَ ذي مَثنَوِيَّةٍ   وَلا عِلمَ إِلّا حُسنُ ظَنٍّ بِصاحِبِ

وقوله كذلك: (2)

حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ رِيبَةً   وَلَيسَ وَراءَ اللَهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ

وقول عنترة: (3)

حَلَفنا لَهُم وَالخَيلُ تَردي بِنا مَعاً   نُزايِلُكُم حَتّى تَهِرّوا العَوالِيا

ومن الألفاظ التي دلت على القسَم في الشعر الجاهلي (أيْمان، أيْمُن، يميناً)
ومنه قول الشاعر زهير بن أبي سلمى: (4)

فَتَجْمَعُ أَيمُنٌ، مِنّا وَمِنكُم   بِمُقْسَمَةٍ تَمورُ بِها الدِّماءُ

وقوله أيضاً: (5)

يَميناً لَنِعمَ السَيِّدانِ وُجِدتُما   عَلى كُلِّ حالٍ مِن سَحيلٍ وَمُبرَمِ

وقول قبيصة بن النصراني الجرمي من طئ: (6)

أَبَرَّ بِأيمانٍ وَأَجْرَأَ مُقْدَماً   وَأَنقَضَ مِنّا لِلَّذي كانَ مِن وِتْرِ

---

1) ديوان النابغة: ص 29

2) المصدر السابق: ص 27

3) ديوان عنترة، ص224 والحماسة الشجرية، ق1، ص32.

4) ديوان زهير، ص 85

5) أيام العرب في الجاهلية، ص 273

6) ديوان الحماسة، ج1، ص 241

وقول عمرو بن عبد العزى: (1)

يميناً لا يزالُ بذات كهفٍ وبطنِ المسحلان صدىً يُنادي

وقول الأعشى: (2)

أَبَرُّ يَميناً إذا أقسموا وَأَفضَلُ إن عُدَّ أفضالُها

وقول أبيّ بن مرينا: (3)

ويمين الإله لو أنَّ جَأوا ءَ طَحُونَا تضيئُ فيها السُيوف

وقول طرفة بن العبد: (4)

يميني سبقت منّي بأنّي لَستُ أنساهُ

ومن الألفاظ الدالة على القسم في الشعر الجاهلي (آليت):

كقول طرفة بن العبد: (5)

وَآلَيتُ لا يَنفَكُّ كَشحي بِطانَةً لِعَضبٍ رَقيقِ الشَفرَتَينِ مُهَنَّدِ

وقول الأعشى الكبير: (6)

إنِّي آلَيتُ عَلى حَلْفَةٍ ولَم أُقِلهُ عَثرَةَ العاثِرِ

وقول المتلمس الضبعي: (7)

---

1) شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية والإسلام، ص 284

2) ديوان الأعشى الكبير، ص 272

3) أيام العرب في الجاهلية، ص 17

4) ديوان طرفة، ص 199

5) المرجع السابق، ص 42

6) ديوان الأعشى، ص 182

7) ديوان المتلمس الضبعي: ص 97

لَم تَدرِ بُصرى بِما آلَيتَ مِن قَسَمٍ   وَلا دِمَشقُ إِذا ديسَ الكَداديسُ

وقول ابنِ زيّانَةَ التّميميّ: (1)

آليتُ لا أدفِنُ قتلاكُمُ   فَدَخّنوُا المرءَ وَسِربالَهُ

ومن خلال إطلاعي على الشعر الجاهلي، لاحظت أن الجاهليين لم يفرقوا بين فعلي حلف وأقسم في أقوالهم، فقد استخدمت الكلمتان بمعنى واحد، وكأنّهما مترادفتان، فمثلاً في قول النابغة: (2)

حَلَفتُ فَلَم أترُك لِنَفسِكَ رِيبَةً   وَلَيسَ وَراءَ اللّهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ

وقول عامر بن الطفيل: (3)

وَأقسمتُ لا يَجزي سُمَيطٌ بِنِعمَةٍ   وَكَيفَ يُجازيكَ الحِمارُ المُجَدَّعُ

ففي قول النابغة وقول عامر بن الطفيل في استخدام (حلفت، وأقسمت) لا يوجد أي فرق بينهما في المعنى، فلو وضعنا الفعل حلفتُ مكان الفعل أقسمت أو العكس لما اختلف المعنى، فنجد أنّ الشعراء الجاهليين يقصدون بالحلف والقسم معنى واحد ولا يفرقون بينهما في الاستعمال.

آما في القرآن الكريم فهناك فرق بين الفعلين في الدلالة، فقد استعمل فعل حَلَفَ وما يشتق منه في معرض اليمين الكاذب، الذي يصدر عن أناس منافقين غير ملتزمين بأيمانهم. بينما لم ترد مادة أقسم في القرآن الكريم إلّا في معرض الصدق الصراح وغالباً ما أسند القَسَم إلى الله عز وجل. (4) ومثال ذلك قوله تعالى﴿ **فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ**

---

1) ديوان الحماسة، ج 1، ص 38

2) ديوان النابغة، ص 27

3) ديوان عامر بن الطفيل: ص 116.

4) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القران الكريم: ص 514

﴿لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]

فالكفارة لا تكون إلّا عند الحنث باليمين (اليمين الكاذب) وفي جميع الآيات القرآنية التي ورد فيها الحلف كان مقروناً بالكذب كقوله تعالى:[2] ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ أمّا الآيات التي ورد بها القسم فمنها قوله تعالى: ﴿ فَلَا أقسم بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿أقسموا بِاللّه جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.[4]

ففي كل الآيات التي ورد بها القَسَم، كان قسماً صادقاً أو أنْ يكون قد صدر من بعض الناس وليس في نيتهم الكذب، بل كانوا صادقين في أيْمانهم حسب اعتقادهم.

---

1) سورة المائدة: أية 89، وانظر سورة التوبة، 95-96، 107 وسورة المجادلة الآية 14

2) سورة القلم: الآية 10

3) سورة الواقعة: الآية 75

4) سورة الأنعام:109 وانظر سورة إبراهيم:44، سورة المعارج:40، وسورة القلم:17، وسورة الروم:55

الفصل الثاني

موضوعات القسم

1:2 القَسَم بالله

إنّ العرب من عدنان وقحطان كانوا قبل ظهور عمرو بن لحّي الخزاعي فيهم على بصيرة من أمرهم، يتعبدون بشريعة خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد تلقوها من ولده إسماعيل عليه السلام، وهي الحنيفية التي جاء بها سيدنا محمدﷺ؛ فكانوا يعتقدون أن الله تعالى واحد لا شريك له، موصوف بصفات الكمال من الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر وغيرها من الصفات، عالمين أنْ لا معبود بحق في الوجود سواه فهو الإله الواحد الملتجأ إليه في جميع الأمور، المتوكل في كل الشؤون عليه، وكانوا يدركون أنّ الآجال بيد الله وحده، وإنّه لا راد لقضاء الله تعالى، وآمنوا بحقيقة الموت والبعث والحساب، واتبعوا كل ما جاء به دين إبراهيم عليه السلام؛ فكانوا يُصلّون ويصومون ويحجّون ويَصِلون الأرحام ويعينون على نوائب الحقّ ويكرمون الأضيافَ كل الإكرام إلى غير ذلك من الأخلاق الحميدة.[1]

فلما طال بهم الأمد وبعدوا عن زمن النبوة؛ كثر فيهم الجهل وقلت معرفتهم بما جاءت به شريعتهم من الهدى والدين المبين، وجروا على شهوات أنفسهم واتبعوا أهواءهم فافترقت كلمتهم كل الافتراق خاصة بعد ظهور عمر بن لحيّ الخزاعي؛ الذي جلب الأصنام إلى مكة وشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله، فانقسمت العرب في التعبد إلى أقسام وافترقوا إلى أصناف وفرق.[2]

إضافة إلى ما سبق فإنّ لليهودية والنصرانية، أثراً في ابتعاد العرب عن دين إبراهيم عليه السلام، فاليهودية قد انتشرت في الحجاز ووادي القرى وخيبر وتيماء ويثرب وغيرها، وصار اليهود قبائل وعشائر وأهم قبائلهم: بنو النضير وبنو قريظة، وبنو ثعلبة، وبنو زريق، وبنو حارثة،[3] وقد أشارت الروايات إلى دخول قِسْم من

[1]) بلوغ الأرب في أحوال العرب: ج2ص194-195

[2]) المصدر السابق: ص 195

[3]) السيرة النبوية: 514/1

العرب في اليهودية وخاصة من الأوس والخزرج؛ لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير وتهوّد قوم من بني الحارث بن كعب وقومٍ من غسان وقومٍ من جذام، ولكنه لم يرد شيء عن تهوّد أفراد من القبائل التي تسكن مكة وما حولها.

أمّا النصرانية، فقد كان انتشارها أوسع من اليهودية، لطابعها التبشيري، وهناك قبائل عربية عدة عرفت النصرانية، ودانوا بها ومن هذه القبائل بنو ثعلب، وبنو امرئ القيس، وطيء، وغسّان وغيرها، ووصلت النصرانية إلى مكة، ودان بها بعض من قريش، فمن الذين تنصروا عثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل، وكان الفرق بين اليهود والنصارى، أن اليهود كانوا يزعمون أنهم شعب الله المختار، وان الله مختص بشعبهم فقط، بينما كان النصارى يعتبرون ألههم اله جميع البشر، وقد ابتعدت هاتان الديانتان عن عقيدة التوحيد، فاليهود جعلوا عُزيراً ابن الله، والنصارى جعلوا المسيح ابن الله.(1) وقد بيّن القرآن الكريم ذلك، في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾(2) وعلى الرغم من هذا بقي تأثير هاتين الديانتين عند العرب في حدود ضيقة.

ومع ذلك فإنّ كثيراً من العرب منْ كان يؤمن بوجود الله، و قدرته و عظمته، ولا سيما عرب مكة ويثرب، ويفهم من القرآن الكريم أنّ من الجاهليين منْ كان يعتقد أنّ للعالم خالقاً خلق الكون وسوّاه، وإنّ منهم من كان يعتقد بوجود إله واحد؛ فهم موحدون، وإنّ منهم من أقر بوجود إله واحد غير أنّه رأى تعذر الوصول إليه بغير وسطاء وشفعاء فاعتقد بالأرواح والجن و عبد الأصنام لتكون واسطة تقربه إلى الله.(3) وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾(4)

---

[1]) الوثنية في الأدب الجاهلي: 177-180

[2]) سورة التوبة: الآية 30

[3]) المفصل في تاريخ العرب:6

[4]) سورة الزمر: الآية 3

فكانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله و التقرب إليه، لأنّه ليس لهم أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته.

ويظهر من القرآن الكريم أنّ قريشاً كانوا يؤمنون بإله واحد خلــق الكــون، وهو ربّ السماوات والأرض، فيقول الله تعالى: ﴿ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[1]

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[2] وفــي قوله تعالى: ﴿ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[4] ومن الأدلة على أن الجاهليين كانوا يعترفون بوجود الله تلبياتهم، فكانوا يلبون بقولهم: (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه ومــا ملــك، يعنون بالشريك الصنم، يريدون أن الصنم و ما يملكه ويختص به من الآلات التــي تكون عنده وحوله و النذور التي كانوا يتقربون بها إليه كلها ملك لله عــزّ وجــل)، فذلك معنى قولهم: تملكه و ما ملك، فهم يعترفون ويقرون بوجود الله، لكنّهم يتقربون إليه بالأصنام، وهذا هو الشرك.[5] ونلاحظ كذلك إقرارهم بوجود الله تعــالى مــن خلال أدعيتهم، فمن هذه الأدعية، قولهم: (لا ترك الله له هارباً أو قارباً) و (مسح الله فاه) و (سقاه الله الزيفان) و (مدّ الله أثره).[6]

وقد بين الله في القرآن الكريم أنّ العرب إلى جانب إيمانهم بالله، وإقــرارهم بأنّه تعالى خالق السماوات و الأرض ومُنْزِل الماء من السماء، وبيده الحياة و الموت

---

[1]) سورة العنكبوت: الآية 61

[2]) سورة العنكبوت: الآية 63

[3]) سورة لقمان: الآية 25.

[4]) سورة الزخرف: الآية 87.

[5]) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 105/6.

[6]) المصدر السابق: 105/6

وغير ذلك، فقد أقسموا بالله و العرب لا يقسمون بالشيء إلا من قبيل التعظيم و التقديس، ولإيمانهم أنّهم بحاجة إليه يلجأون إليه في كل شيء. يقول الله تعالى مبيناً أنّهم أقسموا به في سورة الأنعام:

﴿أقسموا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1]

ويقول عزّ وجل في سورة النحل: ﴿ أقسموا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[2]

وفي الشعر الجاهلي نجد شعراً يتصل بالتوحيد و الإيمان بالله مالك الملك البارئ المصور الواهب المكافئ، وقد تحدث الشعراء في شعرهم عن وحدانية الله تعالى والثواب و العقاب وخوفهم من الله، وفي شعرهم حثّ على التمسك بحبل الله وعمل البرّ، وورد اسم الجلالة في أشعار كثيرٍ من الشعراء الجاهليين فقد ورد في شعر امرئ القيس و زهير وعبيد بن الأبرص والمُتلمّس وغيرهم كثير ممن سأورد أمثلة من أشعارهم للدلالة على قسمهم بالله.

وقد تميزت مظاهر التوحيد لدى بعض شعراء الجاهليين الذين ولعوا بذكر الدين و قصص الأنبياء و الأمم الخالية مثل أمية بن أبي الصلت و عدي بن زيد العبادي وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم وهناك بعض الشعراء الذين ظهرت في شعرهم لمحات دينية و سمات توحيدية، وقد ذكروا الله ووحدانيته، وأكثر ما يذكرون الله حين يقسمون به.[3]

يقول النجيرمي: من العرب طائفة تعبد الأصنام وتزعم أنّها تقربهم إلى الله عزّ وجل، وهذه الطائفة تقْسِم بالله تعالى، والقَسَم بالله عندهم أعظم الأيمان... ويقولون ((والله فإنّها تملأ الفم، وترقيء الدم)) أي تبرئ الظنيين بالدم من الدم فيرقأ دمه، أي يسكن محقوناً في مسكه فلا يراق... ومن أيمانهم (لا والذي شق الرجال للخيل، والجبال للسيل) ومن أيمانهم أيضاً:(لا والذي وجهي زقمَ بيته)

---

[1]) سورة الأنعام: الآية 109

[2]) سورة النحل: الآية 38

[3]) المستشرقون و الشعر الجاهلي: 162.

وقولهم (لا والذي لا يواريني منه غيب)، (لا والذي فلق الحبة، وبرأ النَّسمة). (لا والذي سمك السماء)، (لا والذي يراني من فوق سبع أرقعة)، (لا والذي يراني من حيث ما نظر)، (لا وفالق الإصباح، وباعث الأرواح).[1]

ومن دلائل إيمان العرب بوجود الله أنّهم كانوا يقومون ببعض طقوس الاستسقاء، كجمع البقر، و يعقدون في أذنابها السّلع و العُشَر، ثم يصعّدونها إلى قمم الجبال الوعرة، و يشعلون النيران فيها، و يدعون الله و يتضرعون إليه، فلولا إيمان العرب بأنّ الله موجود في السماء لما صعّدوا البقر إلى قمم الجبال لتكون أقرب إلى السماء و بالتالي أقرب إلى الله تعالى طلباً للغيث. فهم يؤمنون كذلك بأنّ الله هو الذي ينزل المطر، فيتوجهون إلى الله في حالات الجدب وانحباس المطر.[2]

ومن الشعراء الذين يقسمون بالله، الأعشى حيث يقول:[3]

فإنّي وَرَبِّ الساجِدينَ عَشيَّةً   وَما صَكَّ ناقوسَ النَصارى أبيلُها

فالأعشى يقسم برب الساجدين في العشيّات، وبرب راهب النصارى الذي يدق الناقوس، فيظهر من خلال هذا البيت معرفة العرب بالله وإيمانهم به وسجودهم لله، ويتضح كذلك اطّلاع العرب على النصرانية و طقوسهم في عبادة الله تعالى.وقال الأعشى:[4]

كَلّا يَمينَ اللَهِ حَتّى تُنزِلوا   مِن رَأسِ شاهِقَةٍ إِلَينا الأَسوَدا

لَنُقاتِلَنَّكُمُ عَلى ما خَيَّلَت   وَلَنَجعَلَنَّ لِمَن بَغى وَتَمَرَّدا

ويقسم حاتم الطائي بالله فيقول:[5]

وَتَواعَدوا وِردَ القُرَيَّةِ غُدوَةً   وَحَلَفتُ بِاللَهِ العَزيزِ لَنُحبَسُ

---

1) أيمان العرب في الجاهلية: 13– 18

2) الوثنية في الأدب الجاهلي: 188.

3) ديوان الأعشى الكبير: 292

4) ديوان الأعشى الكبير: 107.

5) ديوان حاتم الطائي: 265.

فالطائي يقسم بالله العزيز، وهذه الصفة التي ذكرها في بيته لله تعالى هي من أسمائه الحُسنى.ويقسم حاتم الطائي بالله الذي لا يعلم الغيب غيره، ومحي العظام وهي رميم فيقول: (1)

أَمَا وَالَّذِيْ لا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ وَيُحْيِي الْعِظَامَ الْبِيْضَ وَهِيَ رَمِيْمُ

فهذا دليل على إيمان العرب بالله و بعظمته وعلمه بالغيب وقدرته على كل شيء، ومثل هذا الإيمان لا يقر به إلّا منْ اطّلع على الكتب السماوية.

ويقول أوس بن حجر في معرض حديثه عن الوفاء بالعهد و الابتعاد عن القدر و يقسم إنّه يلتزم بذلك، فيقول: (2)

فَلا وَإِلهِي مَا غَدَرْتُ بِذِمَّةٍ وَإِنَّ أَبِيْ قَبْلِيْ لَغَيْرُ مُذَمَّمِ

ويقسم أوس في موضع آخر بالله إلى جانب قسمه بالأصنام فيقول: (3)

وَبِاللاتِ وَالعُزّى وَمَن دانَ دِينَها وَبِاللهِ إِنَّ اللَهَ مِنهُنَّ أَكبَرُ

فأوس يقر بأن الله أعظم وأكبر من اللات والعزّى، وهذان الصنمان من أشهر الأصنام عند العرب و أقدسها، ومع ذلك فإنّ أوس بن حجر يرى أنّ الله هو الأعظم، وأنّ القسم به أعظم من القسم بأي صنم آخر.ويقسم زهير بن أبي سلمى بالله: (4)

تَاللّهِ ذَا قسماً، لقد عَلِمَت ذُبيانَ عامَ الحَبسِ وَالأَصرِ

ويقسم مقّاس بن عمرو بالله،(5) فيقول :(أيام ربيعه وتميم، يوم الشيِّطين)

حَلفتُ لهم بالله حِلفَة صادقٍ يميناً ومن لا يتق الله يَفْجُرِ

---

1) ديوان حاتم الطائي: 175

2) ديوان أوس بن حجر:118.

3) ديوان أوس بن حجر:36.

4) ديوان زهير: ص92.

5) أيام العرب في الجاهلية: ص 219.

فالشاعر يؤكد أنّ القسم بالله، قسم عظيم، على المرء أنْ يلتزم بقسمه وأنْ يكون صادقاً فيه، لأنّ عكس ذلك يجعله يبوء بغضب من الله، ويدعو إلى تقوى الله، والبر بالقسم من تقوى الله. ويقسم درهم بن زيد بالله: (في حرب سُمير)، يقول:(1)

يمينَ برٍّ باللهِ مُجتهدٍ　　　يحلِفُ إنْ كان يَنفَعُ الحَلْفُ

ويقسم عمرو بن معد يكرب الزبيدي فيقول: (2)

فواللّهِ لولا اللّهُ لا شيءَ غيرُهُ　　　لجَلَّلتُهُ الصَّمصامَ أو يَتَقطَّعا

ويقسم علقمة بن عبيدة بن النعمان بن قيس: (3)

فَوَاللّهِ لَولا فارسُ الجَونِ مِنهُمُ　　　لَآبوا خَزايا وَالإِيابُ حَبيبُ

وتقسم ليلى العنْبَريَّة بالله: (4)

حَلفتُ يَميناً يا ابن قحفانَ بالّذي　　　تكفّلَ بِالأرزاقِ في السهلِ والجَبَلِ

فالشاعرة تقر بأنّ الله هو الرازق، الذي يرزق الإنسان والحيوان، ولا غيره يتكفل بالرزق. ويقسم قيس بن عاصم بالله أنّه سيكف عن شرب الخمر فيقول:

فلا واللهِ أشربُها حياتي　　　ولا أدْعو لها أبداً نديما

ويقسم عوف بن الأَحوص بالله الذي يُحَجُّ له، فيقول: (5)

وَإِنّي وَالَّذي حَجَّت قُرَيشٌ　　　مَحارِمَهُ وَما جَمَعَت حِراءُ

ويقسم باعث بن صُرَيم اليشكريّ بالله الذي خلق السماء والبدر: (6)

---

1) أيام الحرب في الجاهلية: ص65.

2) الحماسة الشجرية: 36/1.

3) المفضليات: 394، وأيام العرب في الجاهلية: 57.

4) شواعر الجاهلية: 300. ديوان الحماسة: 262/2

5) أشعار العامريين الجاهليين: 46

6) ديوان الحماسة: 270/1

إنيَّ ومَن سَمَكَ السَّمَاءَ مكانَها   والبَدرَ ليلَةَ نِصفِها وهِلالها

ويقسم النمر بن تولب بالله، في رثائه لأخيه الحارث، فيقول: (1)

فَواللَهِ ما أُسقِي البِلادَ لِحُبِّها   ولَكِنَّما أُسقيكَ حارِ بنَ تَولَبِ

ويقسم أبو ذؤيب الهذلي بالله، مخاطباً زوجته معزياً وناصحاً، فيقول: (2)

تالله لا يأمَنِ الأَيّامَ مُبتَرِكٌ   في حَومَةِ المَوتِ رَزّامٌ وَفَرّاسُ

فهو يقرّ أنّ الموت حقّ لا مفر منه.ويقسم عنترة بالله الذي يملك الموت والحياة، والذي يتكفلُ بالأرواح والأجسام بعد موتها، فيقول: (3)

قَسَماً بِالَّذي أَماتَ وَأَحيا   وَتَوَلّى الأَرواحَ وَالأَجساما

ويقسم المهلهل بالله، فيقول: (4)

عَزَّ وَاللَهِ يا كُلَيبُ عَلَينا   أَن تَرى هامَتي دِهاناً وَكُحلا

ويقسم عدي بن زيد العبادي بالله، فيقول: (5)

إِنَّني وَاللَهِ فَاقبَل حَلْفَتي   لَأَبيلٌ كُلَّما صَلّى جَأَر

ويقسم السموأل بالله، (وهو من أتباع الديانة اليهودية)، فيقول: (6)

وَقالوا إِنَّهُ كَنزٌ رَغيبٌ
فَلا وَاللَهِ أَغدِرُ ما مَشَيتُ

---

[1]) شعر نمر بن تولب: 42

[2]) ديوان أبي ذؤيب الهذلي: 139

[3]) ديوان عنترة: 217

[4]) ديوان المهلهل:64

[5]) ديوان عدي بن زيد العبادي:61

[6]) ديوان السموأل:19

ويقسم امرؤ القيس بالله، ولكنه في هذا البيت يقسم يميناً كاذباً للوصول إلـى هدفـه، فيقول:[1]

فَقُلتُ يَمينَ اللَهِ أَبرَحُ قاعِداً ولَو قَطَعوا رَأسي لَدَيكِ وَأَوصالي

حَلَفتُ لَها بِاللَهِ حَلفَةَ فاجِرٍ لَناموا فَما إِنْ مِن حَديثٍ وَلا صالِ

ويقسم عبيد بن الأبرص بالله، فيقول:[2]

حَلَفتُ بِاللَهِ إِنَّ اللَهَ ذو نِعَمٍ لِمَن يَشاءُ وَذو عَفوٍ وَتَصفاحِ

فعبيد يقرّ أن النعم منْ عند الله وأنّ الله تعالى يعفو ويصفح ويغفر لمن يشاء من عباده. ويؤكد النابغة على أن القسم بالله هو أعظم الأيمان، لا قسم أقـوى منـه، فيقول:[3]

حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ رَيبَةً وَلَيسَ وَراءَ اللَهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ

وقوله كذلك: [4]

فَقالَت يَمينُ اللَهِ أَفعَلُ إِنَّني رَأَيتُكَ مَسحوراً يَمينُكَ فاجِرَه[5]

---

[1]) ديوان امريء القيس:32

[2]) ديوان عبيد بن الأبرص: 38

[3]) ديوان النابغة: 27

[4]) ديوان النابغة: 121

[5]) وللاستزادة انظر: ديوان أبي ذؤيب الهذلي:74، 81، 89، 139، المفـضليات: 164، 254، 268، 303، 306، 308، شعر تغلب في الجاهلية: 162، ديوان حسان بـن ثابـت: 84، 87، 152، 204، 268، 271، 327، 343، 371، ديوان طرفة بن العبد: 144، 145، أشعار العامريين الجاهليين: 43، شواعر الجاهلية: 240، 259، أيام العرب غي الجاهلية: 367، 101، بني تمـيم وشـاعرهم غـسّان السليطي: 143، جمهرة اشعر العرب في الجاهلية والإسلام: 531، شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإسلام: 375، 382، 534، شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهليـة والإسـلام: 163، ديـوان زهير: 111، 246، ديوان العباس بن مرواس السّـلمي: 114، شعر قيس بن زهير: 40، ديوان أوس بن صخر: 113، ديوان حاتم: 264، ديوان الأعشى الكبير: 42، 183، ديوان الأسود بـن يعفـر:59،

ويقسم الأعشى الكبير برب الرّاقصات أي برب الإبل، التي تهدى إلـــى الله تعـــالى تقرباً، والتي تقطع الجبال في طريقها إلى منى، فيقول: (1)

حَلَفتُ بِرَبِّ الراقِصاتِ إِلى مِنىً   إِذا مَخْرِمٌ جاوَزْنَهُ بَعدَ مَخرَمِ

وكذلك يقسم دريد بن الصمة برب الإبل: (2)

فإنْ لَم تَشكُروا لي فَاحْلِفوا لي   بِرَبِّ الراقِصاتِ إِلى حُراضِ

وتقسم الخنساء برب الإبل في رثاء أخيها صخر، فتقول(3)

حَلَفتُ بِرَبِّ صُهبٍ مُعمِلاتٍ   إِلى البَيتِ المُحَرَّمِ مُنتَهاها

ويقسم عمرو بن كلثوم برب الإبل التي تقطع الجبال في مسيرها، فيقول: (4)

حَلَفتُ بِرَبِّ الراقِصاتِ عَشِيَّةً   إِذا مَخْرِمٌ خَلَّفتُهُ لاحَ مَخرِمُ

ويقسم خداش بن زهير برب الإبل التي تشبه السفن العظيمة، فيقول: (5)

كَلّا وَرَبِّ القِلاصِ الراقِصاتِ بِنا   عَشِيَّةَ النَفْرِ أَمثالَ القَراقيرِ

وتقسم حبيبة بنت عبد العزّى العوراء برب الإبل التي تقدم قرابين تقرباً لله تعـــالى، وقد تقلدت هذه القرابين بالحلي والزينة، فتقول: (6)

إِنّي وَرَبِّ الراقِصاتِ إِلى مِنىً   بِجنوبِ مَكَّةَ هَدْيُهُنَّ مُقَلَّدُ

ونجد في شعر أبي زبيد الطائي قسماً برب الإبل فيقول: (7)

---

(1) ديوان الأعشى الكبير: 348

(2) ديوان دريد: 90

(3) ديوان الخنساء: 279

(4) ديوان عمرو بن كلثوم: 62

(5) أشعار العامريين الجاهليين: 33

(6) شواعر الجاهلية: 243

(7) شعر أبي زبيد الطائي: 61

بَلِ السَبعُ فَاستَنجوا وَأَينَ نَجاؤُكُم فَهَذا وَرَبِّ الراقِصاتِ المُزَعفَرُ

وفي شعر حسان بن ثابت قسم برب الإبل حيث يقول: (1)

فَلَيتَ وَرَبِّ الراقِصاتِ إِلى مِنىً خَوارِجَ مِن نَقفِ الكَديدينِ ضُمَّرا

و في قوله كذلك: (2)

كَلّا وَرَبِّ الراقِصاتِ إِلى مِنىً وَالجائِبينَ مَخارِمَ الأَطْوادِ

وأيضاً حسان بن ثابت: (3)

إِنّي وَرَبِّ المُخَيِّساتِ وَما يَقطَعنَ مِن كُلِّ سَربَخٍ جَدَدِ

وَالبُدنِ إِذ قُرِّبَت لِمَنحَرِها حَلفَةَ بَرٍّ اليَمينِ مُجتَهِدِ

ويقسم عنترة العبسي برب البيت المقدس (الكعبة) الذي يستمد قدسيته وعظمته من الله عز وجل فيقول: (4)

عُلِّقتُها عَرَضاً وَأَقتُلُ قَومَها زَعْماً ورب البيت لَيسَ بِمَزعَمِ

وفي باب القسم بالله، فإنّه قد استرعى انتباهي إلى أنّ عدد الشواهد على هذا النوع من القسم كبير جداً، على عكس القسم بالأصنام فقد كانت شواهده قليلة جداً، وهنا أقول إنّ للرواة دوراً كبيراً في نقل هذا الشعر والتغيير فيه، فاعتقد أن رواة الشعر في الإسلام، قد تجاهلوا الشعر الجاهلي الذي مجد الأصنام والأوثان، ولم يقوموا بروايته، وإنّ هناك من لم يكتف بتجاهل هذا الشعر بل عمدوا إلى التغيير فيه من خلال إحلال اسم الله محل أسماء الأصنام في بعض الشعر، ومما يؤكد اعتقادي هذا، ما ذهب إليه جواد علي بقوله:" إنّ الشعر الجاهلي الذي أمدنا بفيض من

---

[1]) ديوان حسان: 263

[2]) المصدر السابق: 327

[3]) المصدر السابق: 150

[4]) ديوان عنترة بن شداد:187.

معارف قيمة عن الجاهلية القريبة من الإسلام، لم يمدنا بشيء مهم عن الحياة الدينية عند الجاهليين؛ فكأنّه أراد مجاراة من دخل في الإسلام في التنصل من أيام الجاهلية، ومن التبرؤ منها، ومن غض النظر عن ذكر أصنام حرمها الإسلام. وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أنّ رواة الشعر في الإسلام، قد اغفلوا أمر الشعر الجاهلي الذي مجد الأصنام والوثنية، وأهملوه، فلم يرووه، فمات، وأنّ بعضاً منهم قد هذب ذلك الشعر وشذبه، فحذف منه كل ما له علاقة بالأصنام والوثنية ورفع منه أسماء الأصنام، وأحلّ محلها اسم الله، حيث يرد اسم الصنم، فما فيه اسم الله في الشعر الجاهلي، كان اسم صنم في الأصل".[1]

2:2 القسم بالهدي

ومما تجدر الإشارة إليه إنّ بعض الشعراء الجاهليين إلى جانب قسمهم بالله وربّ الإبل وربّ القمر وغير ذلك، فقد أقسموا بالقرابين، والقربان هو كل ما يتقرب به الإنسان إلى الله،[2] والعرب كانوا يقدمون القرابين لله والآلهة.

وكان العرب يعتقدون أن الله والآلهة لا ترضى عنهم إلا بعد أنْ يقدموا لها أعزّ ما يملكون، وأنفس الأشياء، والجاهلي كان يعتبر ناقته من أعزّ الأشياء على نفسه، فيقدمها قرباناً لله والآلهة، وكانوا لا يقتصرون على الإبل في الهدي والنحر، بل يضم البقر والأغنام والشاه والماعز، وغيرها من الأنعام.[3]

وكان الجاهليون يضعون القلائد حول أعناق الإبل ويزينونها، تعبيراً عن تقديسهم لتلك الإبل المقدمة لله، وقد صور ذلك النمر بن تولب في قوله:[4]

وَقامَت إِلَيَّ فَأَحلَفتُها ... بِهَدي قَلائِدُهُ تَختَنِق

وكان العرب في مواسم الحج يسوقون هديهم إلى مكة ويشعرونه، وهذه دلالة على أن هذا الهدي مهدى إلى الكعبة، فلا يمس بسوء، والإشعار يكون بأن يطعن في أسنمة الإبل المهداة، فيسيل الدم عليها، فيكون بذلك معروفاً للجميع أنّ هذه الإبل

---

1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 12/6

2) القاموس المحيط:مادة قرب

3) الوثنية في العصر الجاهلي:347

4) شعر النمر بن تولب:79

هديٌ، ويوضح ذلك قول قيس بن جروة بن سيف بن وائلة الطائي الملقب (عارق الطائي):[1]

حَلَفتُ بَهديٍ مُشْعَرٍ بَكراتُهُ تَخُبُّ بصحراءِ الغبيطِ درادِقُهْ

ويقسم شاعرٌ آخر بالهدي والقرابين التي ساقتها قريش للآلهة وزينتها بالقلائد فيقول:[2]

حَلَفْتُ بما سَاقَتْ قُرَيْشُ وَقَلَّدَتْ أَلِيَّةَ بَـرٍّ صادقٍ غير كاذبِ

ويقسم الأعشى بها، في قوله: [3]

حَلَفْتُ بمائراتٍ حول عَوْضٍ وأنصاب تركّمْنَ لدى البصيرِ

فالأعشى يقسم بالإبل المهداة إلى الصنم (عَوْض) تقرباً وتعظيماً للآلهة ويقسم نهيكة الفزاري مخاطباً عامر بن الطفيل بالإبل المساقة إلى منى حيث ينتهي بها المطاف هناك وتنحر على الأنصاب المنتشرة في ذلك المكان فيقول: [4]

يا عامِ لَو قَدَرَت عَلَيكَ رِماحُنا وَالراقِصاتُ إِلى مِنىً فَالغَبغَبِ
لتقيت بِالوجعاءِ طَعنَةَ فاتِكٍ مُرّانَ أَو لَثَوَيتَ غَيرَ مُحَسَّبِ

ويقسم عوف بن الأحوص بالهدايا (القرابين) فيقول: [5]

وَشَهْرِ بَني أُمَيَّةَ وَالهَدايا إِذا حُبِسَت مُضَرِّجَها الدِماءُ

فالشعراء الجاهليون يقسمون بالقرابين المقدمة لله وللآلهة لأنها مقدسة عندهم، وقد استمدت هذه القرابين القدسية عند العرب من قدسية وعظمة المُهْدَى له (الآلهة).

وهناك أمثله وشواهد أخرى تدلل على قدسية الإبل والأنعام وغيرها المقدمة كقرابين لله والآلهة. [6]

---

[1]) ديوان الحماسة :350/2

[2]) الحماسة الشجرية: القسم الأول / 211

[3]) شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإسلام: 69

[4]) كتاب الأصنام: 21

[5]) أشعار العامريين الجاهليين: 47

[6]) أنظر: ديوان حسّان:150، 37، 263، وشعر أبي زبيد الطائي:61، وشواعر الجاهلية:243، وديوان الخنساء:279، ديوان دريد بن الصمة:90

3:2 القسم بالأصنام

انتشرت الوثنية وعبادة الأصنام في العصر الجاهلي في معظم القبائل العربية في الحجاز ونجد ومكة وما حولها، حتى أصبح لأهل كل دار صنم يعبدونــه، فــإذا أراد أحدهم السفر كان أخر ما يفعله هو التمسح بالصنم، وإذا عاد من سفره فأول ما يفعله التمسح به.وزعم ابن الكلبي أن العرب جميعــاً أولعــوا بالوثنيــة، فيقــول:" واشتهرت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتاً ومنهم من اتخــذ صــنماً، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت، نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيــره، ممــا استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت، وأسموها الأنصاب".[1]

فكانت الأنصاب والأوثان كثيرة جداً، فلا تخلو قبيلة من صنم أو بيت تعبــده، وهذا واضح في الشعر الجاهلي، فقد وردت أسماء الأصنام والأنــصاب والبيــوت المقدسة المنتشرة في أرجاء الجزيرة العربية.

وقد ورد في الحديث الشريف عن ابن مسعود " انه كان بمكــة، عنــد فــتح الرسول ﷺ لها، ثلاثمائة وستون نصباً".[2] إضافة إلى الأصنام التي كانت منتــشرة في كل بيت بمكة، وكثرة الأصنام حول مكة ترجع إلى أنّ كل القبائل العربية كانــت تضع الأصنام التي تقدسها هناك، بالإضافة إلى وجود نماذج أخرى من تلك الأصنام في أحياء هذه القبائل.[3]

وذكر الكلبي أنّ أول من غيّر دين إسماعيل عليه السلام، فنــصب الأوثــان وســيب السائبة، ووصل الوصيلة، وبحَّر البجيرة وحمى الحامي، عمرو بن ربيعة، وهو لحَيُّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي. وهو أبو خزاعة.

وكانت أم عمرو بن لُحيّ فهيرة بنت عمرو بن الحارث، ويقال قمعــة بنــت مضاض الجرهمي، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لُحَيّ، نازعه في الولاية وقاتل جرهُماً بني إسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة، ونفاهم من بلاد مكة، وتَولّى حجابة البيت بعدهم، ثم انه مرض مرضاً شديداً، فقيل لــه: إنّ

---

1) كتاب الأصنام: 33

2) أخبار مكة: 70/1

3) الوثنية في الأدب الجاهلي: 30

بالبلقاء من الشام حَمَّةً أن أتيتها، برأتَ، فأتاها فأستحم بها، فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها، ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة".[(1)]

ويؤكد ما سبق ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال النبيﷺ: رُفعت لي النار فرأيت عَمراً رجُلاً قصيراً وأحمر أزرق يُجرُّ قُصَبَهُ في النار. قلت:من هذا ؟ قيل: هذا عمرو بن لُحيٍّ، أول من بحر البجيرة، ووصل الوصيلة، وسيب السائبه، وحمى الحامي، وغَّير دين ابراهيم، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان.

قال النبيﷺ: أشبه بنيه (به) قَطَنُ بن عبد العُزّى فوثب قطن فقال يا رسول الله: أيضرني شبهه شيئاً؟ قال: لا، أنت مسلم وهو كافر".[(2)]

وما سبق ذكره يدل على أنّ الأوثان كلمة أعمّ في دلالتها من الأصنام، فالوثن في مفهومه أعمّ واشمل من مفهوم كلمة الصنم، فكأن الأوثان هي كل ما يعبد من دون الله، صغيراً كان أو كبيراً، جثة كان أو بلا جثة، مصوراً أو غير مصور، ولكنّه على غير صورة الإنسان، أمّا الأصنام فهي التماثيل التي تكون على شكل صورة كبيرة، وغالباً ما تكون على هيئة آدمي، يتقرب الناس إليها، ويعبدونها من دون الله.ولذا فالقرآن الكريم قرن بين الأوثان وبين الرجس، والرجز وهو كل عمل سيئ يقترفه الإنسان، قال تعالى:﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾.[(3)] فدل ذلك على أنّ الأوثان أعمّ من الأصنام.[(4)]

وبالرغم من عبادة العرب للأصنام وحجهم إليها ونحرهم لها الهدايا وتقديم القرابين والتقرب إليها بالمناسك والمشاعر، إلا أنهم اتفقوا على أنّ خالق العالم ورازقهم ومدبر أمرهم ونافعهم وضارهم ومجيرهم واحد لا رب ولا خالق ولا

---

[1]) كتاب الأصنام: 8

[2]) المرجع السابق: 58

[3]) سورة الحج: 30

[4]) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القران: 153

رازق ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره، كما قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:﴿لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون﴾[2] ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُو ﴾[3]

وكانوا يعتقدون بعبادتهم للأصنام عبادة لله تعالى والتقرب إليه بطرق مختلفة، فالبعض قال: ليس لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة؛ لعظمته فعبدناها لتقربنا إلى الله كما جاء في قوله تعالى:﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾. [4]

والبعض قال: الملائكة ذوو جاهٍ ومنزلةٍ عند الله تعالى فاتخذنا أصناماً على هيئة الملائكة ليقربونا إلى الله، ومنهم قالوا:جعلنا الأصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى كما أن الكعبة قبلة في عبادته والبعض اعتقد أن على كل صنم شيطاناً موكلاً بأمر الله فمن عبد الصنم حقّ عبادته قضى الشيطانُ حوائجه بأمر الله. وإلاّ أصابه الشيطان بنكبة بأمر الله . [5]

ومن أهم الأصنام التي ورد ذكرها في الشعر الجاهلي:

اللّات:

واللّات صنم عظيم يقع في الطائف، والطائف مركز قبيلة ثقيف، وكانت هذه القبيلة من أكثر القبائل العربية تعظيماً لهذا الصنم، و اللّات صخرةٌ مُربَّعةٌ وكان سدنتها من ثقيف بنو عتّاب بن مالك، وكانوا قد بنوا عليها بيتاً يسترونه ويجعلون له حجبة وكسوة ويضاهون به الكعبة"[6]

---

[1]) سورة لقمان: 25

[2]) سورة الزخرف: 87

[3]) سورة المؤمنين: 84-85

[4]) سورة الزمر: 3

[5]) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب:197/2

[6]) كتاب الأصنام: 16

وكـــان يهودي يُلتُّ عندها السويق للحجاج فلما مات قيل: إنّه لم يمت ولكنّه دخل الصخرة، فسميت بما كان يقوم به ذلك اليهودي. [1]

والى جانب ثقيف كانت قريش وجميع العرب تُعظمها، وهذا ما جعلها أكثر الأصنام وروداً فـــي الشعر الجاهلي. وبها كانت العرب تُسمِّي " زيد اللّات " و" تَيم اللّات "، وكانـــت فـــي موضع منارة مسجد الطائف اليُسرى اليوم. [2] وهي التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم: فقال: [3] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾.

فـــاللّات حظيت بمكانة عظيمة عند عُبّادها، فنحروا لها، وقدّسوها، وأهدوا إلـــيها الحلـــي والثياب النفيسة، فعلقها السدنة عليها, ومن الشعراء الذين أقسموا بها المتلمس الضبعي في هجائه لعمرو بن المنذر فيقول: [4]

أَطْرَدتَني حَذَرَ الهِجاءِ، وَلا وَاللاتِ وَالأَنصابِ لا تَئِلُ

وأقسم أوس بن حجر باللّات بقوله: [5]

وَباللاتِ وَالعُزّى وَمَن دانَ دَينَها وَبِاللَه إِنَّ اللَهَ مِنهُنَّ أَكبَرُ

ووردت كذلك في شعر لبيد بن ربيعة العامري بقوله: [6]

وَلَو أَدرَكْنَ حَيَّ بَني جَرِيٍّ وَتَيمَ اللّاتِ نُفِّرَتِ البِهامُ.

وأقســم بها الحارث بن هشام بن المغيرة يوم بدر، يحض المشركين على أخذ الثأر من المسلمين: [7]

على أنني واللّاتِ، يا قومُ فاعلموا بكم واثقٌ الاّ يقيموا على تَبلِ*

[1]) أخبار مكة: 74/1

[2]) كتاب الأصنام: 16

[3]) سورة النجم:19

[4]) ديوان المتلمس الضبعي: 42

[5]) ديوان أوس بن حجر: 36

[6]) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: 293

[7]) السيرة النبوية: 514/2

* تبل: الحقد والعداوة

وذكرها آخر في شعره وأقسم بها: (1)

حلفت لهم بالملح والجمعُ شُهَّدٌ وبالنار واللّات التي هي أعظمُ

وأقسم بها عبد المطلب بن هاشم القرشي فقال: (2)

فلستُ– والبيتِ المغطّى سترا

واللات والركن المحاذي جحرا

منك لنعماك إلهي كفرا

مادمت حياً او أزور القبرا

العُزّى:

ومــن أصــنام العرب التي نالت الشهرة إلى جانب اللات العُزّى، فقد احتلت مكانــةً عالــيةً فــي نفــوس عُبادها، فكانت من أبرز الأصنام المعبودة عند العرب الجاهلييــن، وخاصة قريش، فجعلوا لها حمى وحرماً كحرم الكعبة، وكانوا يتقربون إلــيها بالذبائح وقد أخذت العُزّى نصيباً وافراً في الشعر الجاهلي، وبها كانت العرب تُسمِّى: "عبد العُزّى"، فيقول ابن الكلبي:" وعبد العُزّى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب ".(3) وأشار ابن الكلبي إلى: أن العُزّى كانت بوادٍ من نخلة الشاميَّة، يقال له حُراضٌ، بإزاء الغُمَير، عن يمين المُصعِد إلى العراق من مكة.

وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال، فبنى عليها بيتاً. وأضاف ابن الكلبــي:"وكانت أعظم الأصنام عند قريش.وكانوا يزورونها ويهدون إليها ويتقربون عــندها بــالذبح." (4)وقد اختلفت الروايات عن العُزّى، فالبعض قال أنّها تمثل ثلاث

---

[1]) البيان والتبيين: 8/3

[2]) شعراء جاهليون: 102

[3]) كتاب الأصنام: 18

[4]) المرجع السابق: 18

شجرات سَمُرات، والبعض قال: إنّها شيطانة تأتي تلك الشجرات وذهب البعض إلى أنها صنم كبقية الأصنام، ويرجح أنّها كانت صنماً منحوتاً على صورة امرأة،[1] ومما يرجح أنّها كانت صنماً قول ابن الكلبي: " ولم تكن قريش بمكة، ومن أقام بها من العرب، يعظمون شيئاً من الأصنام إعظامهم العُزّى ثم اللّات ثم مناة "[(2)]وقد أشار جواد علي إلى "أن العُزّى من الأصنام القديمة التي وُجِدت أسماؤها في كتابات الأنباط والصفويين".[(3)]

ومن تعظيم العرب للعُزّى أنهم أقسموا بها، وهذا دليل أكيد على قدسيتها ومكانتها العالية في نفوسهم ومن الشعراء الجاهليين الذين حلفوا بها درهم بن زيد الأوسي فقال:

إنيّ وربِّ العُزّى السعيدة (م) واللهِ الذي دون بيتهِ سَرِفُ

وكذلك الشاعر أبو جندب الهذلي فيقول: [(4)]

لقد حلفت جهداً يميناً غليظةً بفرع التي أحمت فروع سُقام

وقد عنى في شعره العُزّى، حيث سُقام هو الحمى أو الحرم الذي حمته قريش للعُزّى.وذكرها أوس بن حجر في شعره حين أقسم باللّات وَالعُزّى: [(5)]

وَباللاتِ وَالعُزّى وَمَن دانَ دَينَها وَبِاللَهِ إِنَّ اللَهَ مِنهُنَّ أَكبَرُ

وكذلك ذكرها عمرو بن عبد الجن: [(6)]

أما وَدِماءِ مائراتِ تَخالُها عَلى قلَّةِ العُزّى أو النَسرِ عِندَما

والمائرات هي الذبائح التي كانت تقدم للعُزّى تقرباً إليها.

---

[1]) الوثنية في الأدب الجاهلي: 39

[2]) كتاب الأصنام: 27

[3]) المفصل في تاريخ العرب:237/6

[4]) السابق:19

[5]) ديوان أوس بن حجر :36

[6]) معجم الشعراء: 18

ويقسم قيس بن الحُدادية ببيت الله والأنصاب التي ترتفع إلى منحر الغبغب (وهو منحر كانت العرب تنحر فيها هداياهم للعُزّى): (1)

تلينا ببيت الله أول حَلفَةٍ   وإلاّ فأنْصابِ يَسُرنَ بغبغبِ

وأشار نهيكة الفزاري إلى العُزّى عندما ذكر الغبغب:[2]

يا عامِ لَو قَدَرَت عَلَيكَ رِماحُنا   وَالراقِصاتُ إِلى مِنىً فالغَبغَبِ

لَتقِيتَ بِالوجْعاءِ طَعنَةَ فاتِكٍ   مُرّانَ أَو لَثَوَيتَ غَيرَ مُحَسَّبِ

فالشاعر نهيكة الفزاري قد أقسم بالذبائح التي تساق لتذبح في منحر الغبغب الخاص بالعُزّى.

مناة

من أصنام العرب التي نالت حظها الوافر من الشهرة كاللّات والعُزّى " مناة " فكان هذا الصنم من أقدم الأصنام كلها، وقد كانت العرب تُسمّى "عبد مناة " و"زيد مناة". وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المُشلّل بقُدَيْد، بين مكة والمدينة، وكانت العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله. وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له ولم يكن أحدٌ أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج. (3)

ومن شدة إعظام الأوس والخزرج لمناة، يقسم عبد العُزّى بن وديعة المُزَنيُّ به فيقول: (4)

إنّي حَلفتُ يمين صدقٍ بَرَّةً   بمناةَ عند محلّ آل الخَزرجِ

وقد ورد ذكر مناة في القرآن الكريم إلى جانب اللّات والعُزّى في قوله تعالى: (5)

---

[1]) كتاب الأصنام: 19

[2]) كتاب الأصنام: 21

[3]) كتاب الأصنام: 13

[4]) كتاب الأصنام:14

[5]) سورة النجم: 19-20

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى۞ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾

ومن الأصنام التي عبدها العرب وعظموها " نهم " وأشار إليه ابـن الكلبـي وقال: إنّ هذا الصنم قد اختصت به مُزينة، وكانت تُسمّى " عَبدَ نُهـم" وكـان لـنهمٍ سادنٌ يسمى خُزاعيّ بن عَبد نُهمٍ، وكانت قبيلة "مُزينة " تحلف به وأشار إلـى ذلـك أمية بن الأسكر:[1]

إذا لقيت راعيَيْنِ في غَنَمْ   أُسَيِّدَيْنِ يحلفانِ بنُهُمْ

بينهما أشلاءُ لَحْمٍ مُقْتَسَمْ   فامضِ ولا يَأْخُذْكَ باللحْمِ القَرَمْ

وكان لأزد الشراةِ صنمٌ يقال له "عائمٌ"، كانوا يعبدونه ويقدسونه بالإضافة إلى قيس وطيء اللتان عبدتاه أيضاً ومما يدل على قدسيته عند من عبدوه أنّ زيد الخيل الطائي قد أقسم به في شعره فيقول: [2]

تُخبِرُ منْ لا قَيْتَ أنْ قد هَزَمتَهُم   ولم تدرِ ما سِيمَاهُمُ لا وعائمِ!.

وهناك صنم يدعى " سُعَيْر " كانت تعبده قبيلة "عنزة"، ويتقربون إليه بالـذبائح، فنجد الأعشى يذكره في شعره إلى جانب الصنم "عَوْض" وهو صنم لبكر بن وائل وتحلف بما تقدم لهما من القرابين، ويقول الأعشى: [3]

حَلَفتُ بمائراتٍ حولَ عَوضٍ   وأنصابٍ تُركنَ لدى السُعَيرِ

وكان لقبيلة قضاعة ولخم وجُذَم وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام يقـال لـه "الأُقيصِرُ" وقد ذكره زهير بن أبي سلمى في شعره وحلف به فيقول: [4]

حلفتُ بأنْصابِ الأُقَيْصِرِ جاهداً   وَما سحفت فيهِ المَقادِيمُ وَالقَمِلُ

وهنا يشير زهير إلى أنّ عبدة الأُقَيصِر كانوا يقدّمون له دقيق القمح ليحلّوا إحرامهم عنده بعد قضاء مناسك الحج إلى مكة.

---

[1]) كتاب الأصنام: 40

[2]) كتاب الأصنام: 40

[3]) كتاب الأصنام(تكملة):110

[4]) كتاب الأصنام: 38

وكما أقسم الشنفرى الأزدي من خلال الإشارة إلى الأثواب التي كان يُكسى بها الأُقَيصِر من جانب عُبّاده، فأقسم بها بقوله:(1)

وَإنْ امْرَأً قَد أجارَ عَمْراً ورهْطَهُ عَلَيَّ وَأثوابِ الأُقَيْصِرِ يَعنُفُ

كما ذكره رجل من العرب يقول: (2)

وأنصاب الأُقَيصِر حين أضْحَتْ تسيلُ على مناكبها الدماءُ

وهنا إشارة إلى ما ينحر عليه وعلى الأنصاب التي حوله من القرابين.

ومن الأصنام التي أقسم بها الشعراء الجاهليون، صنم يدعى " ذات الوَدْع" فقد أقسم عدي بن زيد العبادي في قوله:(3)

كَلّا يَميناً بِذاتِ الوَدْعِ لَو حَدَثَتْ فيكُم وَقابَلَ قَبرَ الماجِدِ الزارا

ومن الأصنام التي وردت في الشعر الجاهلي " كَثْرى" وهو صَنَمٌ لجديس وطسَم وقد أقسم به عمرو بن صخر بن أشنع:4

حَلَفتُ بكَثْرى حَلْفَةً غيرَ بَرَّةٍ لَتُستَلَبَنْ أثوابُ قسّ بنِ عازبِ

وقد ورد في الشعر الجاهلي أسماء أصنام أخرى، ولكن لم يرد ما يبين أن العرب قد أقسموا بها، ومن هذه الأصنام " اليعبوب " وذو الكفين" و"ذو الشرى" و "سعد" و"باجر" و " فرّاض" وغيرها. وعدم القسم بها دليل على أنّها لم تكن تحتل تلك المكانة العالية في نفوس العرب، ولم تحظ بشهرة واسعة بين القبائل.

وما عدا الأصنام كانت هناك "الأنصاب" وهي حجارة غير منحوته عبدها العرب الوثنيون وقدسوها، وطافوا حولها، وأقسموا بها، ومن الذين أقسم بها عمرو بن جابر الحارثي فيقول: (5)

---

[1]) كتاب الأصنام: 39

[2]) المفصل في تاريخ العرب: 276/6

[3]) الأصنام (تكملة): 111

[4]) الأصنام: 42

[5])الأصنام: 42

حلَفَتْ غُطيفٌ لا تُنهْنِهُ سِرْبَها   وحلَفتُ بالأنْصابِ ألاّ يُرعَّدوا

وأقسم مُعاوية بن زهير بها يقول: [1]

فَأُقْسِم بالذي قد كان ربِّي   وأنصابٍ لدى الجمرات مُغْرِ

وأقسم النابغة الذيباني بالدماء التي تسيل على الأنصاب: [2]

فَلا وربِّ الَّذي قد زُرْتُه حِججاً   وَما هُريقَ عَلى الأنصابِ مِن جَسَدِ

وأقسم طرفة بن العبد بالأنصاب بقوله: [3]

فَأقسمتُ عِندَ النُصبِ إنّي لَميِّتٌ   بِمُتْلَفَةٍ لَيسَت بِغَربٍ وَلا خَفْضِ

وفي خلاصة حديثي عن القسم بالأصنام والأوثان والأنصاب أعتقد أن الشواهد التي سيقت في هذا الموضوع كانت قليلة جداً، حيث إنني قد اطّلعت على جل الشعر الجاهلي، ولم أجد فيه غير تلك الشواهد، وهذا يستدعي منّا الوقوف عند هذه الملاحظة، فبالرغم من وجود الأصنام والأوثان في كل بيت وقبيلة، ووجود أكثر من ثلاثمائة وستين صنم في حرم الكعبة، إلّا أنّ القسم بالأصنام بقي قليلاً في الشعر الجاهلي وهذا مردّه برأيي إلى تدخل الرواة في بداية عصر الإسلام حيث كان لهم دورٌ بارزٌ في عملية ضياع كثير من الشعر الجاهلي الذي لا يتفق والروح الإسلامية الجديدة التي دعت إلى نبذ عبادة الأصنام وعبادة الله تعالى الذي بيده كل شيء.

4:2 القسم بِعَمْر

ترد لفظة (عَمْر)، بفتح العين و سكون الميم، وفيها لغتان فصيحتان فيقال: قد طال عَمْره وعُمْره. فإذا أقسموا قالوا: لعَمْرُك ! فتحوا لا غير و الجمع أعمار.

---

[1]) السيرة النبوية: 35/2

[2]) ديوان النابغة الذيباني: 19

[3]) ديوان طرفة بن العبد: 174

ولذلك نجد العرب تقول في القسم لعَمْري ولعمْرك، يرفعونه بالابتداء ويضمرون الخبر كأنه قال: لعَمْرك قسمي أو يميني أو ما أحلف به.[1]

يتبين لنا بأن لفظة (عمر) تفيد معانٍ عدة منها: القسم أو اليمين و الدعاء و الحياة. وهذا الاختلاف هو نتاج اختلاف ألسنة العرب في نطقها و تحريكها. ونتاج تعدد اللغات في هذه اللفظة. وأكثر هذه اللغات استعمالا هو (عَمْر) بفتح العين، لأن الفتح هو أخف الحركات. وقد كان العرب يميلون إلى الأخف في النطق لكثرة استعمالهم للقسم بلفظة (عَمْر) وبذلك لا يجوز القسم بلفظة(عَمْر) إلا بالفتح لأنه أخف الحركات في الأساليب العربية.

ونجد هذا عند أبن الشجري الذي يقول: " أن العَمْر بمعنى العُمْر مصدر قولهم عَمِر الرجل يَعْمَر إذا امتد بقاؤه، ولكنهم لم يستعملوا في القسم إلا المفتوح"،[2] ويقول الله تعالى: " لعَمْرُك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ".[3] فكأنه (أي الله سبحانه وتعالى) حلف ببقاء النبي و حياته. ولذلك قال ابن عباس: لم يقسم الله تعالى بحياة أحد غير النبي ﷺ وقيل: العمر هنا مصدر بمعنى العمور.[4]

ويقول ابن يعيش:" إنّ قولهم في القسم لعمرك لأفعلن " فالعمر البقاء و الحياة و فيه لغات يقال عَمْر بفتح العين و إسكان الميم، و عُمْر بضم العين و إسكان الميم و عُمُر بضمهما، تقول: أطال الله عمرك وعُمرك و عُمُرك فإذا جئت إلى القسم لا تستعمل فيه إلا المفتوحة العين لأنها أخف اللغات الثلاث و القسم كثير واختاروا له الأخف"[5]

وهناك رأي لأبي العلاء المعرّي ذكره ابن الشجري في أماليه، قال ابن الشجري:"وذهب أبو العلاء المعري في قولهم: عَمْرَك الله إلى خلاف ما أجمع عليه أئمة النحويين:الخليل وسيبويه وأبو الخطاب الأخفش الكبير وأبو الحسن الأخفش

---

[1]) أنظر: لسان العرب و القاموس المحيط و تاج العروس: (مادة عمر).

[2]) الأمالي الشجرية: 348/1.

[3]) سورة الحجر: الآية 72.

[4]) شرح المفصل لأبن يعيش: ج6/ ص95 95/6

[5]) شرح المفصل لأبن يعيش: 96/6

الصغير وإسحاق الزجاج وأبو بكر ابن السراج وأبو علي الفارسي وأبو سعيد السيرافي، وغير هؤلاء من المتقدمين والمتأخرين، فزعم أنّ العَمْر مأخوذ من قولهم: عَمَرتُ البيت الحرام اذا زرته. وقال: ومنه اشتقاق الاعتمار والعُمْرة.... قال: ويحتمل أنْ يكون عَمْرَك مأخوذاً من عَمرت الديار من العمارة أي بعمرك المنازل المشرفة بذكر الله و عبادته ".[1]

وقد ربط سيبويه في كتابه في باب المصادر التي تنتصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره بين (عَمْرَكَ الله) و (عَمَّرْتُكَ الله)، مما يشير إلى أن عَمْراً عنده تعني العُمْر. [2]

وذهب المبّرد في كتاب المقتضب إلى الربط بين (عَمْرَكَ الله) و(عَمَّرْتُكَ الله)، فقال: المراد بالعَمْر التعميم والمعنى: أقسم بتعميرك الله، أي بإقرارك له بالدوام والبقاء، ويكون التقدير: أسأل الله عَمْرَكَ، أي أسأله تعميرك. [3]

ويذكر أبو الهيثم الرازي أن النحويين ينكرون قول المفسرين و يقولون: معنى لعمرك: لدينك الذي تعمر. [4]

ومن خلال استعراض الآراء السابقة فإنّ (عَمْر) تأتي في معانٍ متعددة هي: العُمْر والدين والعِمارة،وقد وردت عَمْر في الشعر الجاهلي مضافة إلى ضمير، ومضافة إلى اسم ظاهر أو إلى اسم الجلالة.

عَمر مضافة إلى ضمير

فنجد أنَّ عَمراً مضافة إلى ضمير المتكلم كقول المُتَلَمّسُ الضُبَعِي: [5]

لَعَمري لَنِعمَ المَرءُ قَيسٌ إذا انتَهى إِلى بابِهِ راجٍ لَهُ لَيسَ يَحبِسُ

وقول عمرو بن قميئة: [6]

---

[1]) الامالي الشجرية: 352/1.

[2]) كتاب سيبويه: 162/1.

[3]) المقتضب للمبرد: 327/2.

[4]) لسان العرب، تاج العروس، مادة (عمر)

[5]) ديوان المتلمس الضبعي: 235

[6]) ديوان عمرو بن قميئة: 8

لَعَمري لَنِعمَ المَرءُ تَدعو بِحَبلِهِ   إِذا ما المُنادي في المَقامَةِ نَدَّدا

وقول عامر بن الطفيل: (1)

لَعَمري وَما عَمري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ   لَقَد شانَ حُرَّ الوَجهِ طَعنَةُ مُسهِرِ

وقول لبيد بن ربيعة العامري: (2)

لَعَمري لَئِن كانَ المُخَبِّرُ صادِقاً   لَقَد رُزِئَت في سالِفِ الدَهرِ جَعفَرُ

وقول العباس بن مرداس السّلمي،(3)يمدح قيس بن عاصم ويهجو طيئاً:

لَعَمري لَقَد أَوفى الجَوادُ ابنُ عاصِمٍ   وَأَحصَنَ جاراً يَومَ يَحدِجُ بَكْرَه

وقول عبد المسيح بن عَسَلَةَ العبدي: (4)

لَعَمري لَأَشبَعنا ضِباعَ عُنَيزَةٍ   إِلى الحَولِ مِنها وَالنُسورَ القَشاعِما

وقول خداش بن زهير بن ربيعة في يوم شواحط: (5)

لَعَمري لَقَد أُخبِثتُما حينَ قُلتُما   لَنا العِزُّ وَالمَولى فَأَسرَعتُما نَفْري

وقول غنية بنت عفيف بن عمرو (أم حاتم بن عبد الله الطائي): (6)

لَعمرُي لعدْماً عضّني الجوع عضّةً   فآليتُ ألّا أمنَعَ الدهرَ جائِعا

وقول النابغة الذبياني: (7)

---

1) ديوان عامر بن الطفيل:98، وورد في الحماسة الشجرية 24/1، أيام العرب في الجاهلية: 135، والمفضليات: 362

2) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: 167

3) ديوان العباس بن مرداس السلمي: 85

4) المفضليات: 304

5) جمهرة أشعار العرب: 286

6) شواعر الجاهلية: 286، ديوان حاتم بن عبد الله الطائي: 10

7) ديوان النابغة:54

لَعَمري وَما عُمري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ   لَقَد نَطَقَت بُطلاً عَلَيَّ الأَقارِعُ

وقول عامر بن مالك (مُلاعب الأسنة): [1]

لَعَمري لقد دافَعتُ عن حييٍّ مالكٍ   شآبيبَ من حَربٍ تَلَقَّحُ حائلِ

وقول أبي زبيد الطائي: [2]

ولَعَمري لَقَد لَقوا أهلَ بَأسٍ   يَصدُقونَ الطِعانَ عِندَ اللِقاءِ

النمر بن تولب: [3]

لَعَمري لَقَد أَنكَرتُ نَفسي وَرابَني   خَلائِقُ مِنها لَم تَكُن مِن شَمائِلي

وقوله: [4]

لَعَمري لَقَد أَنكَرتُ نَفسي وَرابَني   مَعَ الشَيبِ أَبدالي الَّتي أَتَبَدَّلُ

ويقول عنترة بن شداد متوعداً بني زبيد: [5]

لَعَمري ما الفَخارُ بِكَسبِ مالٍ   وَلا يُدعى الغَنِيُّ مِنَ السَّراةِ

وكقول قيس بن الخطيم: [6]

لَعَمري لَقَد حالَفتُ ذُبيانَ كُلَّها   وَعَبساً عَلى ما في الأَديمِ المُمَدَّدِ

وكقول المهلهل لما بلغه ما قاله الحارث بن عباد لفرسه "النعامة": [7]

---

[1]) أشعار العامريين الجاهليين: 68

[2]) ديوان أبي زبيد الطائي: 31

[3]) شعر النمر بن تولب: 96

[4]) شعر النمر بن تولب: 84

[5]) ديوان عنترة: 106

[6]) ديوان قيس بن الخطيم:127

[7]) ديوان المهلهل: 71

فَلَعَمري لَأَقتُلَنَّ بِكُلَيبٍ   كُلَّ قَيلٍ يُسَمّى مِنَ الأَقيالِ

ووردت عَمر مضافة إلى ضمير المخاطب:

كقول الأسود بن يعفر: [1] وقيل هذا البيت لأوس بن حجر

لعَمرُكَ ما أدري وإن كنتُ داريا   شُعيثُ بن سَهمٍ أم شُعَيثُ بن مِنقرِ

وقول الأعشى الكبير: [2]

لَعَمرُكَ ما طولُ هَذا الزَمَن   عَلى المَرءِ إِلّا عَناءٌ مُعَنْ

وقول زيد الخيل الطائي: [3]

لَعَمرُكَ ما أَخشى التَصَعلُكَ ما بَقى   عَلى الأَرضِ قَيسِيٌّ يَسوقُ الأَباعِرا

وقول أوس بن حجر: [4]

لَعَمرُكَ ما آسى طُفَيلُ بنُ مالِكٍ   بَني عامِرٍ إِذ ثابَتِ الخَيلُ تَدَّعي

وقول لبيد بن ربيعة العامري: [5]

لَعَمرُكَ ما تَدري الضَوارِبُ بِالحَصى   وَلا زاجِراتُ الطَيرِ ما اللَهُ صانِعُ

وكقول الشنفرى: [6]

---

[1]) ديوان الأسود بن يعفر، وورد هذا البيت في ديوان أوس بن حجر

[2]) ديوان الأعشى الكبير: 359

[3]) ديوان زيد الخيل الطائي: 62

[4]) ديوان أوس بن حجر: 61

[5]) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: 172

[6]) ديوان الشنفرى: 59

لَعَمرُكَ ما بالأرضِ ضيقٌ عَلى امرئٍ سَرى راغِباً أو راهِباً وَهوَ يَعقِلُ.

وقول زهير بن أبي سلمى (حين طلق امرأته أم أوفى): [1]

لَعَمرُكَ وَالخُطوبُ مُغَيِّراتٌ وَفي طولِ المُعاشَرَةِ التَقالي

وقول زهير بن أبي سلمى(في يوم داحس والغبراء): [2]

لَعَمرُكَ ما جَرَّت عَلَيهِم رِماحُهُم دَمَ ابنِ نَهيكٍ أَو قَتيلِ المُثَلَّمِ

وقول عبيد بن الأبرص الأسدي لامرئ القيس (في باب الشجاعة والشدة): [3]

إِنّا لَعَمرُكَ ما يُضامُ حَليفُنا أَبَداً لَدَينا

وقول رجل من بني تغلب يلقب بأفنون: [4]

لَعَمرُكَ ما يَدري امرُؤٌ كَيفَ يَتَّقي إِذا هُوَ لَم يَجعَل لَهُ اللَهَ واقِيا

وقول عمرو بن الأهتم: [5]

لَعَمرُكَ ما ضاقَت بِلادٌ بِأَهلِها وَلَكِنَّ أَخلاقَ الرِجالِ تَضيقُ

وقول الحصين بن الحمام المُرّي: [6]

لَعَمرُكَ إِنّي يَومَ أغدوا بِصَرمَتي تَناهَى حُمَيسٌ بادِئينَ وَعُوَّدا

وقول طرفة بن العبد: [7]

---

[1]) ديوان زهير: 251

[2]) أيام العرب في الجاهلية: 275

[3]) الحماسة الشجرية: 119/1، ديوان عبيد بن الأبرص: 138

[4]) المفضليات: 261، شعر تغلب في الجاهلية: 141

[5]) المفضليات: 127، ديوان الحماسة، 301/2، شعر بني تميم في العصر الجاهلي: 168

[6]) شعر الحصين بن حمام المري: 73

[7]) ديوان طرفة بن العبد:186

لَعَمرُكَ ما تدري الطّوارقُ بالحَصَى ولا زاجراتُ الطّيرِ، ما اللهُ فاعلُ

وقول طرفة بن العبد: [1]

لَعَمرُكَ ما الأيامُ إلّا مُعادَةٌ فَما اسطَعتَ مِن مَعروفِها فَتَزَوَّدِ

وقوله كذلك: [2]

لَعَمرُكَ ما أدري، وإنّي لواجِلٌ أفي اليومِ إقدامُ المنيةِ أو غدِ ؟

وقوله كذلك: [3]

لَعَمرُكَ إنَّ المَوتَ ما أخطأَ الفَتى لَكَالطِوَلِ المُرخى وَثِنياهُ بِاليَدِ

وقول قيس بن زهير، يمدح بني زياد وهم الكملة: [4] وقيل هذا البيت لحاتم الطائي.

لَعَمرُكَ ما أَضاعَ بَنو زِيادٍ ذِمارَ أَبيهِمِ فيمَن يُضيعُ

وقول أبي ذؤيب الهذلي يرثي حبيباً الخثمي: [5]

لَعَمرُكَ وَالمَنايا غالِباتٌ لِكُلِّ بَني أَبٍ مِنها ذَنوبُ

وقول بشر بن أبي خازم الأسدي(يؤكد على تعلقه بمحبوبته وحبه لها): [6]

لَعَمرُكَ ما طِلابُكَ أُمَّ عَمرٍو وَلا ذِكراكَها إلّا وَلوعُ

---

[1]) ديوان طرفة بن العبد: 151

[2]) نفس المصدر السابق: 150

[3]) المرجع السابق: 37

[4]) شعر قيس بن زهير:47، ديوان الحماسة: 180/1

[5]) ديوان أبو ذؤيب الهذلي: 24

[6]) ديوان بشر بن أبي خارم: 97

وقول أمرؤ القيس: (1)

لَعَمرُكَ ما قَلبي إِلى أَهلِهِ بِحُرْ   وَلا مُقصِرٍ يَوماً فَيَأتِيَني بِقُرْ

وللاطلاع على الشواهد التي استخرجتها من دواوين الشعر الجاهلي حول القسم (بعمر) سواءً أضيف إلى ضمير المتكلم أو ضمير المخاطب انظر للاستزادة (2)

نلاحظ من خلال ما سبق أن القسم (بعَمْر) قد جاء في باب الحكمة و الموعظة المرتبطة في الموت و طوارق الأيام وحدثانها، كما سبق في قول أبي ذؤيب الهذلي الذي أقسم بعمر في الحديث عن المنايا و في قول طرفه عندما تحدث عن الموت وإنني أتفق مع ما قاله الدكتور نصرت عبد الرحمن أنّ مثل هذا القسم

---

[1]) ديوان امرئ القيس: 109

[2]) للأستزادة انظر:

ديوان زهير:44، 47، 262. ديوان العباس بن مرداس السلمي: 42، 120، 229 . ديوان عامر بن الطفيل: 105، 107. ديوان أبي ذؤيب الهذلي: 74، 79، 143، 184، 203. المفضليات: 160، 178، 265، 272، 315، 328، 356. الحماسة الشجرية: القسم الأول: 150، 159،= =270، 308، القسم الثاني: 640. ديوان طفيل الغنوي: 55، 139. ديوان أبي زبيد الطائي: 27، 72. ديوان طرفة بن العبد: 47، 102، 123، 160، 175. ديوان الحصين بن الحمام المرّي: 116. أشعار العامرين الجاهليين: 36، 50، 56، 81. شواعر الجاهلية: 218، 224، 227، 250، 253، 280، 305. ديوان الحماسة: ج1 79، 99، 134، 141، 199، 347، 352، 367، 414، 437. ج2: 119، 252، 293، 318، 407، 409. ديوان عمرو بن قميئة: 6. ديوان المرقشين: 70. ديوان زيد الخيل الطائي: 28. ديوان الخنساء: 362، 407. ديوان السّليك بن السلكة: 62. شعر المسيب بن علس: 134. ديوان دريد بن الصمة الجشمي: 44. ديوان عدي بن زيد العبادي: 195. ديوان الشنفرى: 97. ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: 78، 89. ديوان عنترة: 255، 299. ديوان عمرو بن كلثوم: 101، 108. ديوان المهلهل: 71. ديوان ابن مقبل: 61. ديوان عروة بن الورد: 95. ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري: 19. ديوان أوس بن حجر: 26، 32، 49، 106، 118، 120. ديوان حاتم الطائي: 99، 309. شعراء جاهليون: 110. ديوان الأعشى الكبير: 47، 78، 84، 98، 189، 236. ديوان عبيد بن الأبرص، 64، 78. ديوان النابغة: 34، 40، 99، 117. ديوان امرئ القيس: 111، 112، 113، 209، 259، 283، 417. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: 499، 556، 608. أيام العرب في الجاهلية: 17، 145، 194، 204، 228، 240، 346، 362، 396، 400. ديوان زهير بن جناب الكلبيّ: 86. ديوان اللصوص: 2/ 11، 91.

حريٌ أنْ يكون بربٍّ يملك الموت والحياة من أنْ يكون بالعُمْر، إلاّ إذا جاء القسم بالعُمْر قبالة الموت من قبيل نعي الذات، فالقسم بعُمْر الشاعر الذي يكثر الشعراء الجاهليون من التفدي به و بعمر آبائهم و أجدادهم ليس من القسم العظيم، وإنّ القسم بعَمْر يأتي أحياناً في معرض الهجاء وإنّ ضمير الخطاب يرتد إلى المهجو، فكيف يمكن لشاعرٍ أنْ يقسم بعُمر من يهجو،[1] كقول الأعشى في هجاء الحارث بن وَعلَة بن مُجالد الرقاشَي:[2]

لَعَمرُكَ ما أَشبَهتَ وَعلَةَ في النَدى شَمائِلَهُ وَلا أَباهُ المُجالِدا

ومن خلال تتبعي للقسم في الشعر الجاهلي، فإنّني لم أجد في دواوين الشعر الجاهلي إضافة عَمْر إلى ضمير الغائب ومما يؤكد رأيي هذا تعليل الدكتور نصرت عبد الرحمن والذي يقول فيه[3] " إن عدم إضافة عَمْر إلى ضمير الغائب يُبعد أنْ تعني عَمْر العُمْر ويدني (ربّاً)، فضمير الغائب قد يعود في العربية إلى الله ضمناً، كقولنا: نحمده ونشكره، فنفهم ضمناً أنّ الضمير يعود إلى الله، وكالأسماء عَبْده، وسَعْده وعِزّه، فكأنّ الشاعر الجاهلي قد خشي منْ أنْ يلتبس ضمير الغائب إذا قال: (لعَمْرُه) بين الغائب المعبود والغائب العابد".[4] وقد وردت عَمْر مضافة إلى اسم ظاهر غير لفظ الجلالة:

فوردت عَمْر في الشعر الجاهلي مسبوقةً باللام ومضافةً إلى اسم، فأضيفت إلى الأب، كقول زهير بن أبي سُلمى يمدح هرم بن سنان:[5]

لَعَمرُ أَبيكَ ما هَرِمُ بنُ سَلمى بِمَلحِيٍّ إِذا اللُؤَماءُ لِيموا

---

[1]) دلالة "عمر" في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي، نصرت عبد الرحمن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد 19، 20، 1983، ص18.

[2]) ديوان الأعشى الكبير: ص65

[3]) عبد الرحمن، نصرت: حول دلالة "عَمرٌ" في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد 19، 20، 1983، ص18.

[4]) المرجع السابق: ص18.

[5]) ديوان زهير: ص160

وقول عبد قيس بن خفاف: (1)

صَحَوتُ وَزايَلَني باطِلي   لَعَمرُ أبيكَ زِيالاً طَويلا

وقول حسان بن ثابت: (2)

لَعَمرُ أَبيكِ الخَيرِ ما ضاعَ سِرُّكُم   لَدَيَّ فَتَجزيني بِعاداً وَتَصرِمي

وقول بن الطفيل: (يرثي أباهُ طفيلاً و يذكر جده). (3)

لَمارَستُ عَنهُ الخَيلَ غَيرَ مُهَلِّلٍ   لَعَمرُ أبي أَو تَشتَعِبني الشَواعِبُ

وقول أبي زبيد الطائي: (4)

لَعَمرُ أبيكَ يا ابنَ أَبي مُرَيٍّ   لِغَيرُكَ مَن أَباحَ لَها الدِيارا

وقول عبيد بن الأبرص: (5)

رَغمٌ لعَمرُ أبيكَ عِندي هَيِّنٌ   إنّي يَهونُ عَلَيَّ أَن لا يُعتَبوا

وقول النمر بن تولب: (6)

لَعَمرُ أَبيكَ ما لَحمي بِرُبٍّ   وَلا لبَني عَلَيَّ وَلا سَلائي

وقول أبي ذؤيب الهذلي يصف مقاتلاً من قومه: (7)

---

1) المفضليات: ص386، ديوان الحماسة: ج 1 ص311.

2) ديوان حسان بن ثابت: ص182، ديوان حسان: ص132.

3) ديوان عامر بن الطفيل: ص68

4) شعر أبي زبيد الطائي: ص76

5) ديوان عبيد بن الأبرص: ص6

6) ديوان النمر بن تولب: ص33

7) ديوان ابي ذؤيب الهذلي: ص 144.

وَلَو سَلِمَت لَهُ يُمنى يَدَيهِ   لَعَمرُ أَبيكَ أَطعَمَك السِباعا

وقول عنترة: (1)

لَعَمرُ أَبيكَ لا أَسلو هَواها   وَلَو طَحَنَت مَحَبَّتُها عِظامي

وقول تميم بن أُبي بن مقبل: (2)

لَعَمْرُ أَبيكِ لَقَدْ شَاقَنِي   مَكَانٌ حَزِنْتُ لَهُ أَوْ حَزِنْ

وقول الخنساء: (3)

لَعَمرُ أَبيه لَنِعمَ الفَتى   تَحُشُّ بِهِ الحَربُ أَجذالَها

وقول الحارث بن حلزة اليَشْكُري البَكْري: (4)

لَعَمرُ أَبيكَ الخَيرِ لَو ذا أَطاعَني   لَغُدِّيَ مِنهُ بِالرَحيلِ الرَكائِبُ

وقول السُّليك بن السلكة: (5)

لَعَمرُ أَبيكَ وَالأَنباءُ تُنمي   لَنِعمَ الجارُ أُخْتُ بَني عُوارا

وقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي: (6)

وَكُلِ أَخٍ مفارِقُه أخوه   لعمرُ أَبيك إلّا الفرقدان

---

1) ديوان عنترة: ص220.

2) ديوان ابن مقبل: ص 295.

3) ديوان الخنساء: ص86

4) ديوان الحارث بن حلزه: ص21.

5) ديوان السليك بن السلكة: ص74.

6) جمهرة أشعار العرب: ص14.

وقول لبيد بن ربيعة العامري: [1]

لَعَمرُ أَبيكِ الخَيرِ يا ابنَةَ أَربَدٍ   لَقَد شَفَّني حُزنٌ أَصابَ فَأَوجَعا

وأضيفت عَمْر إلى (الجد) وجاءت مسبوقة باللام.

كقول الأعشى الكبير: [2]

فَلَعَمرُ جَدِّكَ لَو رَأَيتَ مُقَامَنا   لَرَأَيْتَ مِنَّا مَنظَراً وَمُؤَيَّدا

وقول ابن القائف الضبي: [3]

ولَعَمرُ جَدِّك ما الرُّقادُ بطائشٍ   رَعشٍ بديهتُه ولاَ عوَّارِ

ووردت عَمْر مضافة إلى علم ومسبوقة باللام:

كقول سُرَاقةَ بن عوفٍ بن الأحوص: [4]

لَعمرُ لبيدٍ إنّه لَابنُ أُمِّهِ   ولكن أبوه مَسَّهُ قِدَمُ العهد

وقول حاتم بن عبد الله الطائي: [5]

---

[1]) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: 173، وأنظر:ديوان الأعشى الكبير: 40، وديوان عمرو بن قميئة: 7، ديوان الأسود بن يعفر: 33، ديوان امرئ القيس: 299، ديوان الحارث بن حلزة:20، ديوان حسان بن ثابت: 132، وديوان اللصوص:60/2، وديوان الحماسة:248/1، وديوان الحماسة:291/1، وشعر اليهود في الجاهلية والإسلام: 314، شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام: 153، ص228، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: 519، شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية والإسلام: 342، وشعر بني تميم في العصر الجاهلي: 130، 60، وأيام العرب في الجاهلية: 97، 346، 106، وبني تميم وشاعرهم غسان السليطي: 150.

[2]) ديوان الأعشى الكبير: 108.

[3]) شعر ضبه وأخبارها في الجاهلية والإسلام: ص140، وورود في أيام العرب في الجاهلية، ص389.

[4]) أشعار العامريين الجاهليين: ص79.

[5]) ديوان حاتم بن عبد الله الطائي: ص142.

لعمرُ أبيِ عمْروٍ، وعَمْروٍ كليهما   لقَد حُرِما مِن حاتمٍ خَيرَ حاتِمِ

وقول عدي بن زيد العبادي: (1)

ولعَمرُ الدّارِ لو أنَّ بها   أهلَها إذ دَمعُ عينيكَ سَجَمْ

وقول مُصَرِّف بن الأعلم بن خُوَيْلد بن عامر العُقَيْليّ (2)

فَلَعمرُ عاذلتي على تَبَعِ الصِّبا   إنّي بِحُبِّ الغانياتِ لمُولَعُ

وقول وهب بن الأعرج الفقيمي: (3)

لعَمْرُ التي ربَّتك ثم نكحتها   لئن جمعتنا إثيلُ المجامعُ

فالقسم ب(عَمْر) إذا أضيفت إلى اسم غير لفظ الجلالة، كالأب أو الجد أو إلى علم أو أضيفت إلى ضمير، فإنّ عَمْر هنا تعني (ربّ)، فالشاعر عندما يقسم بعَمْر الدار في قول عدي بن زيد العبادي على سبيل المثال فإنّ الشاعر من المستبعد أنْ يقسم بعُمر الدار لأنّ القسم هو عبارة عن إلتجاء الشاعر أو الإنسان إلى مصادر القوة يحتمي بها، ويؤكد صلته بعالمها وانتماءه إليها، لذا فإنّ عُمْر الدار ليس بشيء عظيم ومقدس يقسم به الشاعر، ولذلك فإنّني اعتقد أنّ الشاعر يقسم بربّ الدار، لأنّ هذا الرب هو من خلق هذه الدار وتكفل بحمايتها وبقائها، ومما يؤكد اعتقادي هذا رأي الدكتور نصرت عبد الرحمن في تفسير دلالة عَمْر في حال إضافتها إلى اسم غير لفظ الجلالة وإلى ضمير. (4)

وتردُ أحياناً لفظة عَمْر في باب القسم مضافة إلى اسم الجلالة تصريحاً أو كناية غير متصلة باللام

---

1) ديوان عدي بن زيد العبادي: ص73.

2) أشعار العامرين في الجاهلين. ص79.

3)الحماسة الشجرية: 1 / 8

4): حول دلالة "عَمرُ" في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العددان(19، 20)، 1983، ص21

كقول عبد بني الحسحاس:[1]

أَلِكني إليها عَمرَكَ اللهَ يا فتىً	بآيةِ ما جاءتْ إِلَينا تَهاديا

وقول عروة بن الورد:[2]

قَعيدَكِ عَمرَ اللَهِ هَل تَعلَمينَني	كَريماً إِذا اِسوَدَّ الأَنامِلُ أَزهَرا

واحياناً تضاف عَمْر الى اسم الجلالة كنايةً غير مسبوقة باللام ومسبوقة ب(لا)، كقول النابغة:

فَلا عَمرُ الَّذي أُثني عَلَيهِ	وَما رَفَعَ الحَجيجُ إِلى إِلالِ[3]

وإلال: جبل بمكة

وتاتي عَمْر احياناً مسبوقة باللام و (لا) كقول النابغة:[4]

فَلا لَعَمرُ الَّذي مَسَّحتُ كَعبَتَهُ	وَما هُريقَ عَلى الأَنصابِ مِن جَسَدِ

ووردت عَمْر مسبوقة باللام و(نعم) كقول ابي ذؤيب الهذلي (الرجز):[5]

نَعَمْ لَعَمْرُ اللهِ ثَبْتٌ ذو عَتَدْ

أو متصلةُ باللام و(ها) كقول زهير بن أبي سُلمى:[6]

تَعَلَّمَنْ – ها– لَعَمرُ اللَهِ ذا قَسَماً	فَاقصد بِذَرعِكَ وَاِنظُر أَينَ تَنسَلِكُ

---

[1]) الحماسة الشعرية: 1 / 546.

[2]) ديوان عروة بن الورد: ص64.

[3]) ديوان النابغة: ص61.

[4]) ديوان النابغة: ص15.

[5]) ديوان ابي ذؤيب الهذلي: ص87.

[6]) ديوان زهير بن أبي سُلمى: ص146.

وجاءت (عَمْر) في قول المُرَقَّش الأصغر عمرو بن حرملة مضافة إلى اسم الجلالة تصريحاً وغير مسبوقة باللام:[1]

فَعَمْرَكَ اللّهَ هَلْ تَدْرِي إذا ما لُمْتَ في حُبِّها فِيمَ تَلومْ

ولكن أكثر ما وردت فيه (عَمْر) في هذا الباب هو إضافتها إلى اسم الجلالة تصريحاً أو كنايةً مسبوقةً باللام، كقول الأعشى الكبير:[2]

فَلَعَمرُ مَن جَعَلَ الشُهورَ عَلامَةً قَدَراً فَبَيَّنَ نِصفَها وَهِلالَها

وقول الأعشى أيضاً:[3]

إِنّي لَعَمرُ الَّذي خَطَّت مَناسِمُها تَخدي وَسيقَ إِلَيهِ الباقِرُ الغُيُلُ

وقول درهم بن زيد الأوسي: [4]

إني لعمرُ الذي يَحُجُّ له النا س ومنْ دونه بيتهِ سَرِفُ

وقول الأعشى أيضاً:[5]

لَعَمرُ الَّذي حَجَّت قُرَيشٌ قَطينَهُ لَقَد كِدتَهُم كَيدَ اِمرِئٍ غَيرِ مُسنَدِ

وقول أبي زبيد الطائي:[6]

ولَعمرُ الإِلَهِ لَو كانَ لِلسَي ف مَصالٌ ولِلِّسانِ مَقالُ

---

[1]) ديوان المرقشين: ص96.

[2]) ديوان الأعشى الكبير: ص259.

[3]) ديوان الأعشى الكبير: ص 287.

[4]) أيام العرب في الجاهلية: ص65، وديوان حسان بن ثابت: ص84.

[5]) ديوان الأعشى الكبير: ص132.

[6]) شعر أبي زبيد الطائي: ص129.

وقد ذكر كذلك أن مكة حرم آمن، لا يحل فيه قتال، ولم يكن أهله يقاتلون فيه، وكان أهل مكة يعظمون البيت وإنّ من سنن تعظيمهم له، أنّ من علا الكعبة من العبيد، فهو حّر، لا يجمعون بين عز علوّها وذل الرق.[1]

وقد ذُكرت الكعبة في القرآن الكريم مرتين وذلك في قوله تعالى:

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾.[2]

وفي قوله تعالى:**﴿جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾**.[3]

وقد بقي البيت معبوداً مقدساً عند أهل مكة وعند غيرهم، غير أنّ المشركين حّولوه إلى بيت لعبادة الأصنام والأوثان والشرك حتى عام الفتح حين أزال الرسولﷺعنه آثار الجاهلية، وأمر بطمس معالم الوثنية وصار حرماً آمناً خاصاً بالإسلام لا يدخله مشرك ولا تطأ أرضه أقدام غير مسلم مؤمن بالله وبرسوله.[4]

وقد ذكر الله تعالى مكة في كتابه الكريم بإسمين مكة وبكة، وقد أوردت الآيات التي ذكر الله فيها مكة، أمّا بكة ففي قوله تعالى:**﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾** [5] وسميت بكة لأنّ الناس يبك بعضهم بعضا فيها أي يدفع، وهناك من قال: إنّهما لغتان والمسمى بهما واحد، لأنّ العرب تبدل الميم بالباء لقرب المخرجين، والبعض قال: إنّ مكة اسم البلد كله وبكة البيت.[6]

---

[1]) المصدر السابق: 6/430-431

[2]) سورة المائدة: الآية 95

[3]) سورة المائدة: الآية 97

[4]) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 6/431.

[5]) سورة آل عمران: الآية 96

[6])بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب:1/228

وقد ذكر الألوسي في كتابة بلوغ الأرب أنّ أصل مكة وحرمتها ما عظمه الله ﷻ من حرمة بيته حتى جعلها لأجل البيت الذي أمر برفع قواعده وجعله قبلة عباده أم القرى، لما قاله ﷻ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.[1] وإنّ سبب وضع البيت والطواف به أنّ الله قال للملائكة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.[2] فغضب عليهم فعادوا للعرش فطافوا حوله سبعة أشواط يسترضون ربهم فرضي عنهم، وقال لهم: ابتنوا لي في الأرض بيتاً يعوذ به من سخطت عليه من بني آدم، ويطوف حوله كما فعلتم بعرشي فأرضى عنهم. فبنوا له هذا البيت فكان أول بيت وضع للناس.[3]

إنّ أول من تولى بناء الكعبة بعد الطوفان إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل،[4] يقول ﷻ:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[5]

ومن خلال هذه الآية يتبين أنَّ البناء جاء بأمر من الله ﷻ، ومنذ ذلك الحين بدأ تعظيم العرب للكعبة، وانتشر أمرها والحج إليها، فيقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۞ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾.[6]

وهناك بعض الروايات التي تُرجع بناء الكعبة إلى سيدنا آدم عليه السلام وأنّ عمل إبراهيم عليه السلام وإسماعيل قد اقتصر على تجديد البناء،[7] وروي انه قد تم تجديد بناء

---

[1]) سورة البقرة: الآية 30

[2]) سورة الشورى: الآية 7

[3])بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: 1/- 288-229

[4]) المرجع السابق: 230/1، وانظر أخبار مكة: 59/1

[5]) سورة الشورى: الآية 7

6) سورة الحج: الآية 26-27

7) أخبار مكة: 1/36-37

الكعبة في عهد جرهم، بسبب سيل قد هدمها،[1] وقبل الإسلام بقليل شب فيها حريق، وجاء سيل فزعزع جدرانها، فأعادت قريش بناءها.[2]

ومهما يكن من أمر بنائها سواء بناها آدم عليه السلام أو سيدنا إبراهيم عليه السلام فإنّ الشيء المؤكد أنّ الكعبة قد حظيت بمكانة عالية في نفوس أتباع ديانة سيدنا إبراهيم عليه السلام التوحيدية، فعظّم العرب وأهل مكة خاصة الكعبة تعظيماً كبيراً، وكانوا على ثقة تامة أنّ الله عز وجل يحميها ويحفظها من كل مكروه أو اعتداء، وإنّ كل من يحاول أنْ يخرق حرمتها، فإنّه سينال عقابه من الله عز وجل، وكان لهم عبرة في رواية إساف ونائلة اللذَين اقترفا الفاحشة في الكعبة، فمسخا حجرين،[3] وما حل بإبرهة الحبشي عندما جاء إلى مكة لهدم الكعبة،[4] وقد بين الله عز وجل في القران الكريم ما حلّ بجيش ابرهة. [5]

وقد ذهب (ولهوزن) إلى أنّ قدسية البيت عند أهل الجاهلية، كانت بسبب وجود الحجر الأسود في الكعبة، فقد كان هذا الحجر مقدساً في ذاته، وإنّه هو الذي جلب القدسية للبيت فصار البيت نفسه مقدساً. وإنّ بعض المستشرقين ذهب إلى أنّ البيت لم يكن إلا بمثابة إطار للحجر الأسود الذي كان من أهم معبودات قريش، لأنّه يمثل بقايا حجر قديم كان مقدساً عند قدماء الجاهليين. والتقرب إلى الأحجار في بيوت العبادة كانت شائعة بين الجاهليين.[6] حتى أنّ الأشجار الموجودة في حمى الكعبة كانت تعتبر أشجاراً مقدسةً لا يجوز قطعها ولا احتطابها.[7]

ومن تعظيم العرب للكعبة أنّهم كانوا يكسونها بأغلى الثياب في ذلك الوقت، ويُذكر أنّ أول من كسا الكعبة هو (تبع أسعد الحميري) فقد كساها بالأنطاع أي أبطة من أدم، وحبرة وبروداً، ثم كساها بثياب جدة من عصب اليمن.

---

1) المصدر السابق:57/1

2) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: 232/1

3) السيرة النبوية: 82/1

4) المصدر السابق: 53/1

5) انظر: سورة الفيل.

6) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام:437/6

7) المصدر السابق: 440/1

وأول من كسا الكعبة بالحرير(نثيلة بنت جناب بن كليب) وهي من بني عامر المعروف بالضحيان، وكان من ملوك ربيعة، وكانت قد أضاعت ابنها فنذرت إنْ وجدته أنْ تكسو البيت بالحرير، فكسته، وقيل أول من كسا البيت الديباج خالد بن جعفر بن كلاب. وذكر أنّ قريشاً كانت تكسو مكة بالديباج يوم التروية، وكانوا يضعون الأكسية الجديدة فوق القديمة فلا يرفعونها عنها، فكانت تتراكم بعضها فوق بعض، (1)

أمّا بخصوص إكرام أهل الجاهلية الحاج، قد ذكر الأزرقي:أنّ هاشم بن عبد مناف كان يقول لقريش إذا حضر الحج: يا معشر قريش، إنّكم جيرانُ الله وأهلُ بيته، خصكم الله بذلك وأكرمكم به، ثم حفظ منكم ما حفظ جار من جارة فأكرموا أضيافهُ وزوّار بيته يأتونكم شعثاً غبراً من كل بلد، فكانت قريش ترافد على ذلك حتى كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير رغبة في ذلك، فيقبل منها لما يرجى لهم من منفعته.

وأضاف الأزرقي: أنّ قصي بن كلاب بن مرّة قال لقريش: يا معشر قريش إنّكم جيران الله وأهل الحرم، وإنّ الحجاج ضيفان الله وزوّار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام هذا الحج، حتى يصدروا عنكم، ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم، فيدفعونه إلى قصي، فيصنعه طعاماً للحجاج أيام الموسم بمكة ومنى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه وهي الرفادة.(2)

وقد استمرت هذه العادة في إكرام الحجاج وإطعامهم، في الإسلام وبقيت حتى يومنا هذا، فنجد أنّ السكان المحيطين والقريبين من المناطق المقدسة يقدمون الطعام ويكرمون الحجاج، لأن الحجاج يعتبرون ضيوف الرحمن، والجميع يتسابقون إلى إكرامهم، ابتغاء الأجر والثواب ومرضاة الله سبحانه وتعالى.

ومن هنا فإنّني أستطيع القول أن تعظيم العرب لمكة والحج إليها، يأتي من اعتقادهم الأكيد بوجود الله تعالى، وان الكعبة ما هي إلا بيت الله المقدس، وان الحج

---

1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 443/1

2) أخبار مكة: 194/1-195

إلى هذا البيت هو تقرب إلى الله عز وجل وعبادة له، ولذا فإنّ سكان مكة كانوا يدعون أنفسهم أهل الله، لمجاورتهم للكعبة، وأنّ هذه الميزة كانوا ينفردون بها عن سائر الناس.

ومثلما أقسم الجاهليون بالله، واعتبروا القسم بالله أعظم الأيمان، أقسموا كذلك ببيته المقدس، وإذا أقسموا به حرصوا كل الحرص على عدم الحنث بهذا القسم، فكانت أعظم الأيمان تعقد أمام الكعبة، ليكون الله ﷻ شاهداً على أصحابها، وكان شائعاً في الجاهلية، أنّ من يقسم بالبيت كذباً فإنّه لن يسلم من عقاب الله الشديد.

وبالمقارنة مع أيامنا الحاضرة، فإنّ القسم بالكعبة ما زال منتشراً بكثرة بين الناس المسلمين، فنجدهم يقولون في أيمانهم (والكعبة لأفعل كذا...) أو (والله ومحمد رسول الله والبيت الذي بناه الله) و(بيت الله...) وهذه الأقسام ما هي إلا تعبير عن قدسية وعظمة هذا البيت منذ بنائه وحتى يومنا هذا لأن الجميع من جاهليين ومسلمين يربطون البيت دائماً بخالقه مباشرة، فيأتي التعظيم للبيت المقدس من خلال التعظيم لله ﷻ والتقرب إليه.

ولعظمة هذا البيت وقدسيته عند الجاهليين، فقد أقسم شعراء الجاهلية به في شعرهم، فنجد أنّ زهيراً قد أقسم مباشرة وصراحة بالبيت، فيقول:[1]

فَأقسمتُ بِالبَيتِ الَّذي طافَ حَولَهُ   رِجالٌ بَنَوهُ مِن قُرَيشٍ وَجُرهُمِ

وقد أشار في بيته إلى الطواف حول البيت، والى جُرهم ولاة البيت قبل قريش.

وكذلك عمل حاتم الطائي، فأقسم ببيت الله يهجو أحدهم فيقول:[2]

وَدِدتُ وَبَيتِ اللَهِ لَو أَنَّ أَنفَهُ   هَواءٌ فَما مَتَّ المُخاطَ عَنِ العَظمِ

وأقسم الأعشى ببيت الله في قوله:[3]

كَذَبوا وَبَيتِ اللَهِ يَفعَلُ ذَلِكُم   حَتّى يُوازِيَ حَزرَماً كِنديرُ

---

[1]) أيام العرب في الجاهلية: 273(يوم داحس والغبراء)وديوان زهير : 15

[2]) ديوان حاتم بن عبد الله الطائي: 274.

[3]) ديوان الأعشى الكبير: 172

وفي معرض فخر الأعشى بقومه نجده يقسم ببيت الله فيقول:(1)

لَسنا بِعيرٍ وَبَيتِ اللَهِ مائِرَةٍ   إِلّا عَلَيها دُروعُ القَومِ وَالزَغَفُ

فقد لجأ إلى أعظم الأيمان بعد الحلف بالله وهو القسم بالبيت ليؤكد أنّ قومه رجال حرب وأهل شجاعة وان إبلهم غير منهوكة التعب إلا لأنها محملة بالدروع والأسلحة الثقيلة.

ويقسم زيد الخيل الطائي بمكة والبيت، في قوله:(2)

بَلِ الفارِس الطائي فَضَّ جُموعَهُم   وَمَكَّةَ وَالبَيتِ الَّذي عِندَ هاشِمِ

فيربط زيد الخيل الطائي البيت الذي يقسم به بهاشم بن عبد مناف ليميزه عن غيره من البيوت، أشارة لقدسيته وعظمته التي لا يحظى بها بيت آخر. ويقسم خداش بن زهير ببيت الله فيقول(3)

كَذَبتُم وَبَيتِ اللَهِ حَتّى تُعالِجوا   قَوادِمَ حَربٍ لا تَلينُ وَلا تَمري

وفعل كذلك راشد بن شهاب اليشكري، فأقسم ببيت الله في قوله:(4)

فَلا تَحسبَنّا كَالعُمورِ وَجَمْعَنا   فَنَحنُ وَبَيتِ اللَهِ أَدنى إِلى عَمرِو

وأقسم ببيت الله أبو طالب بن عبد المطلب، في قوله:(5)

كَذَبتُم وَبَيتِ اللَهِ نُبزي مُحَمَّداً   وَلَمّا نُطاعِنْ دونَهُ وَنُناضِلِ

وكذلك أقسم امية بن الاسكر الليثي بالبيت في قوله:(6)

نَشَدْتُك بالبَيت الذي طافَ حولَه   رجالٌ بَنوه من لؤَيّ بن غالبِ

---

1) ديوان الأعشى الكبير: 209

2) ديوان زيد الخيل: 100

3) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: 415. وأشعار العامريين الجاهليين :36 وشعر خداش بن زهير العامري: 79.

4) المفضليات :311.

5) الحماسة الشجرية: القسم الأول، 64.

6) الحماسة الشجرية: القسم الأول، 262.

أما عارف الطائي (قيس بن جروة بن سيف بن وائلة بن عمر بن مالك بن أمان) فقد أقسم بالمنازل الموجودة في منى، ولذلك نجده قد اختلف عن غيره من الشعراء ولكنه أقسم بالأماكن الموجودة في منى فيقول:[1]

فَأقسمتُ جَهْداً بِالمَنازِلِ مِن مِنىً وَما ضمَّ من بطحائِهنَّ دَرادِقه

وكذلك فعل زهير بن أبي سلمى حيث يقول في هرم بن سنان بن حارثة:[2]

فَأقسمتُ جَهداً بِالمَنازِلِ مِن مِنىً وَما سحفت فيهِ المَقاديمُ وَالقَملُ

وبعد هذا الاستقراء للشعر الجاهلي، وحصر ما جاء فيه من قسم بالبيت، إلا أنني لاحظت أنّه بالرغم من وجود كعبات أخرى غير كعبة مكة مثل (كعبة سندان) و (كعبة نجران) و (بَسٌّ) و (رُضا) و (رئامُ) إلّا أنّه لم يرد في الشعر الجاهلي ما يدل على القسم بها، وأعتقد أنّ سبب ذلك هو ما حظيت به كعبة مكة من تعظيم وتقديس كبيريين، وأنّ هذه الكعبة كانت تُعَدُّ عند جميع الجاهليين من عرب وغيرهم بيت الله، أمّا غيرها من البيوت فكانت مرتبطة بقبائل وأقوام معينة، فلم تحظ هذه البيوت بتلك المكانة التي احتلتها الكعبة في نفوس البشر جميعاً فكان يأتيها البشر حُجاجاً من كل مكان.

6:2 القسم بالنار والملح والرماد

عبادة النار قديمة جداً، فقد روي أن هذه العبادة كانت منذ عهد قابيل بن آدم، وذلك أنّه لما قتل أخاه هابيل هرب من أبيه فجاءه إبليس، وقال له: إنّما قُبِل قربان هابيل و أكلته النار، لأنه كان يخدمها ويعبدها، فانصب أنت أيضا ناراً لتكون لك ولعقبك، فبنى بيت نار، فهو أول من نصب النار وعبدها.[3] قال الله تعالى: **﴿ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** [4]

---

[1]) ديوان حاتم بن عبد الله الطائي: 162

[2]) ديوان زهير: 99

[3]) نهاية الأدب في فنون الأدب: 105/1.

[4]) سورة المائدة: الآية 27.

فتعظيم الإنسان للنار ربما يعود للرغبة أو الرهبة أو كلتيهما، فللإنسان في النار مصالح ومنافع ربما كانت دافعاً لتعظيمه وتقديسه إياها، وللنار في روعه خوف ورهبة وعجز عن المواجهة ربما كانت سبباً لشعوره بعظمتها وقداستها.[1]

ويؤكد النويري أن حاجة الإنسان الماسّة إلى النار هي دافعة إلى تعظيمها فيقول: " ومنفعة النار تختص بالإنسان دون سائر الحيوان فلا يحتاج إليها شيء سواه، وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمتها المجوس، وقالوا: إذا أفرَدْتَنا بنفعها فنفردها بتعظيمها."[2]

وقد استحوذ تعظيم النار وعبادتها أهمية عظيمة عند بعض الأمم و الطوائف كالمجوس و اليونان و الهند و لعل إحراق الموتى بالنار عند الهنود هو امتداد لتلك المذاهب القديمة.

وكانت النار معظمة عند بني إسرائيل، وهذا ما يؤكده الجاحظ في قوله: (كانت النار معظمة عند بني إسرائيل، حيث جعلوها تأكل القربان، وتدل على إخلاص المتقرب وفساد نيّة المدغل، وحيث قال الله لهم: لا تطفئوا النار من بيوتي، ولذلك لا تجد الكنائس و البيع أبداً إلا وفيها المصابيح تزهر ليلاً ونهاراً. حتى نسخ الإسلامُ ذلك وأمرنا بإطفاء النيران إلا بقدر الحاجة)، [3] ومما يدل على تعظيم بني إسرائيل للنار، قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**[4]

وقد ذكر الجاحظ أنّ زرادشت هو الذي عظّم النار و أمر بإحيائها، ونهى عن إطفائها، ونهى الحُيّض مسها و الدنو منها، وزعم أنّ العقاب في الآخرة إنّما هو

---

[1]) عبد الرحمن بن إبراهيم الدباسي، نيران العرب في الجاهلية: لمحات أسطورية، مجلة جامعة الملك سعود، م8، الآداب (2) 1996م ص311.

[2]) النويري، نهاية الأدب، ج1 / ص104.

[3]) كتاب الحيوان: 5 / 120.

[4]) سورة آل عمران: آية 183.

بالبردِ والزمهرير والدَّمق. [1]

وهنالك من العرب مَن عبدوا النار وهم أشتات وكأن ذلك سرى إليهم من الفرس و المجوس،[2] ففي العصر الجاهلي عرف العرب المجوس من الفرس في اليمن و الحيرة و البحرين، فقد كان لأهل مكة اتصال وثيق بالحيرة، كما كان لأهل الحجاز اتصال باليمن، وقد كان المهيمن على اليمن الفرس عند ظهور الإسلام حيث طردوا الأحباش وحلوا محلهم، وكان هؤلاء الفرس على المجوسية.[3]

وقد أشار الدكتور أنور أبو سويلم إلى نار اليمن المقدسة، التي كان لها سدنة يعنون بجعل نارها دائماً مؤججة، فإذا تفاقم أمر بينهم، وتخاصموا ثم اتفقوا على الصلح و القسم وحلفوا بها انقطع ما كان بينهم من تعاد، و سموها: "الهُولة"، و " المهوِّلة " وكان سادنها إذا أُتي برجل هيّبه الحلف بها، وكان السدنة يطرحون فيها ملحاً وكبريتاً من حيث لا يشعر، يهولون بها عليه، فإذا وقع فيها استشاطت و تنفضت، فيقولون له: هذه النار قد تهددتك، فإذا كان مذنباً نكل، وإن كان بريئاً حلف.[4]

وقد كانوا في الجاهلية الأولى إذا تحالفوا و تعاهدوا أوقدوا ناراً و دنوا منها حتى تكاد تحرقهم، وعدَّدوا منافع النار، ودعوا على ناقض تلك اليمين و الناكث لذلك العهد بحرمان تلك المنافع، ويتصافحون عندها و يقولون " الدم الدم و الهدم الهدم"، والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم، و الهدم اسم البناء المهدوم أي فيما هدم لكم من بناء أو شأن فقد هدم لنا و ما أريق لكم من دم فقد أريق لنا، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا. وعبروا على استعمال ذلك يتوارثونه إلى أن أتى الله تعالى بالإسلام. وكان الحلف بين رسول الله ﷺ وبين الأنصار فقالﷺ لهم " الدم الدم و الهدم الهدم".

---

[1]) الحيوان: ج5، ص66

[2]) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: 2/ 233.

[3]) مظاهر من الحضارة و المعتقد في الشعر الجاهلي: ص120.

[4]) المصدر السابق: ص129.

وربما دنوا من النار حتى تمحشهم، أو تكاد تحرقهم و يهولون بها على من يستخف بحقوقها، و يتوعدونه بحرمان منافعها و مرافقها. وفي ذلك نكد العيش و حرمان الحياة و يسمون الرجل القيم بأمر تلك النار " المهّول " وقد ذكرته الشعراء. قال الكميت: (1)

كهُولة ما أوقد المحلفو   ن لدى الحالفين وما هوَّلوا

وقال أوس بن حجر:(2)

إذا استَقبلَتهُ الشَمسُ صَدَّ بِوَجهِهِ   كَما صَدَّ عَن نارِ المُهَوِّلِ حالِفُ

وكان العرب في الجاهلية يتعاقدون و يتعاهدون على الملح. والملح عندهم شيئان: ملح الآدام التي يتملح بها، و اللبن، وذلك أنه سواء عندهم (أنْ يتجمعوا على طعام و ملح، أو على شرب لبن) فهذا عندهم ممالحة. (3)
قال أبو الطمحان القيني: (4)

وَإِنّي لَأَرجو مِلحَها في بُطونِكُم   وَما بَسَطَت مِن جِلدِ أَشعَثَ أَغبَرا

وقال شتيم بن خويلد: (5)

لا يُبعِدِ اللَّهُ رَبَّ العِبا   دِ وَالمِلحِ ما وَلَدَت خالِدَه

ومن الذين أقسموا بالنار والملح و الرماد، أعشى قيس، حيث قال:(6)

حلفتُ بالملحِ وبالرَّمادِ وبالنّـ   ـارِ وباللاتِ نُسلِمُ الحَلقهْ

---

[1])أيمان العرب في الجاهلية: 37
[2]) ديوان أوس بن حجر: 69.
[3]) أيمان العرب في الجاهلية: 37
[4]) كتاب الحيوان:151/4
[5]) المرجع السابق:151/4
[6]) البيان والتبين: 8/3

وحلف بالنار آخر:[1]

حلفت لهم بالملحِ والجمعُ شُهَّدٌ   وبالنّار واللّات التي هي أعظمُ

وبما أن العرب قد أقسموا بالنار، فإنّ القسم دليل واضح و أكيد على قدسية المقسم به، والقسم يمثل إلتجاء الإنسان إلى مصادر القوة ليحتمي بها و يؤكد صلته بعالمها، وانتماءه إليها.[2]

وقد رأى الدكتور أنور أبو سويلم أن القسم بالرماد و التحالف عليه قد يفسر بكاء الشعراء على " الأثافي " السُود التي تركها القوم الراحلون، لأن فيها قداسة الجاهلي.

وقال ابن منظور:(وكان العرب إذا تحالفوا يقسمون على العهد بالحلف وعدم النقض به، وكان من عادتهم أن يحضروا في جفنة طيباً أو دماً أو رماداً فيدخلون فيه أيديهم عند التحالف ليتم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد، ويسمون القسم عندئذٍ "اليمين الغموس"[3] وما زالت عملية الاحتكام للنار يعمل بها حتى اليوم، ويطلقون على هذه الطريقة اسم " البشعة " وخاصة في المجتمعات البدوية).

وهذه الطريقة تشبه " الاورداليا " ordalia في اليونان و الأمم المسيحية في العصور الوسطى وصدر العصور الحديثة، حيث يؤتى بالمجرم وتحمى قطعة من الحديد، ويكلف المتّهم بالقبض عليها بيده، أو يكلف بالمشي على جمر الفحم الحجري، فإنّ لم يصبْه ضرر دلّ ذلك على براءة المتهم.[4]

وقد أولع العرب بإيقاد النيران ينبهون بها على عوارض حدثت وحوادث عرضت، وهي كثيرة. منها (نار القرى) وهي نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل، ومنها (نار التحالف) وقد سبق الحديث عنها، ومنها (نار الغدر) إذا غدر الرجل بجاره، ومنها (نار السلامة) وهي التي توقد للقادم من سفر سالماً،

---

[1]) المصدر السابق: 8/3

[2]) قراءة ثانية لشعرنا القديم: 87.

3) لسان العرب مادة (غمس)

[4]) مظاهر من الحضارة و المعتقد في الشعر الجاهلي: 134.

ومنها (نار الطرد) وتوقد خلف الضيف الغير مرغوب بعودتـــه، ومنهـــا (نـــار الأهبة) للحرب، ومنها (نار الصيد) وهي نار توقد للضباء لتعشى إذا نظرت إليها، ومنها (نار الأسد) يوقدونها إذا خافوه، ومنها (نار السليم)، توقد للملـــدوغ إذا ســـهر وللمجروح إذا نزف، ومنها (نار الوسم) هي ما تدل على سمة وعلامة الإبل ومنهـــا (نار الاستمطار) للاستسقاء، ومنها (نار الحرنين) و(نار السعالي) و(نار الحُباحـــب) و(نار اليراعة) وغيرها.[1]

7:2 القسم بالآباء و الأجداد

لم يتفق العرب في الجاهلية على مبدأ موحد في العبادات، فاختلفوا في اتخاذ آلهـــتهم كما اختلفوا في طرق عبادتها، فالبعض منهم اتخذ البعض الآخر آلهةً وعبـــدوهم، و بعضهم عبد الجن، وبعضهم عبد الملائكة، وبعضهم عبد الظواهر الطبيعيـــة، حتـــى جاء الرسول محمد ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئاً لا بشراً ولا حجراً، فلا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، وهذا واضح في قول الله تعـــالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُـــواْ اشْـــهَدُواْ بِأَنَّـــا مُسْلِمُونَ.﴾**[2]

وقد كان للإنسان في المجتمع الجاهلي تأثيرٌ واضح في العبادة و التقديس، فالرجل العظيم عندهم، ينظر إليه بعين الاعتبار و التقدير، حتى أنهم كانوا يبـــالغون في إجلاله و تكريمه حتى العبادة. ومجتمع القربى عندهم هو أصل المجتمع الديني، والعصبية القبلية هي شيء مقدس، ورباط ديني وثيق.[3]

ولعل في قصة الأصنام الخمسة – ود– سواع – يغوث – يعوق– نسر، خيـــر إشارة إلى هذا المعتقد إذ كانوا قوماً صالحين يقومون بكل أعمال البـــر والتقـــوى، فنحتوا لهم صورهم، وعبدوهم. وكذلك لنا في حديث عامر بن الطفيل. برهان آخر

---

[1]) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: 2/162–166

[2]) سورة آل عمران: الآية 64.

3) الأسطورة عند العرب في الجاهلية: 173.

على تقديس الأشخاص عند عرب الجاهلية. قال أبو عبيدة: (لما مات عامر بن طفيل بعد منصرفه عن النبي ﷺ نصبت عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشيه، ولا يرعى ولا يسلكه راكب أو ماش) وكان رجل منهم غائبا يقال له حيان بن سلمى، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب ؟ قالوا: نصبناها حمى لقبر عامر بن طفيل. فقال: ضيقتم على أبي علي. إن أبا علي بان من الناس بثلاث. كان لا يعطش حتى يعطش الجمل، ولا يضل حتى يضل النجم، ولا يجبن حتى يجبن السيل.[1]

ولقد قدس العربُ شعراءهم وسحرتهم، وعظموهم ونظروا إليهم بصورةٍ تصل إلى العبادة، فكانوا يستسقون بهم المطر، ويعتقدون أنّ لهم قدرات خارقة، وعظم العرب الملوك تعظيم العبادةِ، وهذا ليس بغريب عليهم. فقد كانت أواصر القبيلة تحل محلَّ الدين، فلا عجب أنْ يعظموا سيد القبيلة و يرفعونه إلى مكان العبادة، وكانوا يطلقون على الملوك و السادة تَسْمِيَة الأرباب، وقد نقل الشعراء بعض مظاهر احتفاء العرب بهم. منها "قيامهم ركوداً أمام الملك العربي – إذا طلع عليهم – كأنهم يقومون رهبة للهلال".[2] وذلك بتأثير عبادة القمر المعروفة عند العرب، فشبهوا الملوك بالقمر و الهلال. وأحاطوهم بمظاهر الإجلال والرهبة، و أضفوا عليهم مزايا لا طاقة للبشر عليها.

ونظر العرب إلى الكهنة نظرة تقديس و إجلال، لما كان لهم من دور في السيطرة على أفكار الشعوب البدائية، واعتماد الجاهليين خاصة عليهم في جميع أمورهم المجهولة، فكانوا ينظرون إليهم على أنّهم واسطة بين الناس و المعبود، وأن لهم اتصال بالآلهة و الأرواح.[3] ولهم دورٌ في معالجة المرضى عن طريق طرد الشياطين من جسم المريض بالتعاويذ والتراتيل والأناشيد المقدسة. [4]

---

[1]) بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب:131/2

[2]) دراسات في الشعر الجاهلي: د. أنور أبو سويلم : 125

[3]) الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام: 98.

[4]) السابق:107.

وبما أن القبيلة تعد وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية مستقلة كانت أساس تكوين العرب الاجتماعي قبل الإسلام، فلم يكن الفرد يخضع لغيرها من التنظيمات الاجتماعية. فقد احتل سيّد القبيلة مكانةً عاليةً في نفوس أبناء القبيلة وصلت إلى درجة التعظيم و التقديس و العبادة، حتى أنّ لقب سيد القبيلة، مرادفٌ للكلمة (بعل) إله المطر والخصب، فسيد القبيلة بالنسبة لهم يمتلك صفاتٍ ومزايا لا يمتلكها الإنسان العادي. فكانوا يحيطونه بمظاهر العظمة والسيادة، ويعتبرونه الحامي والمدافع عنهم.

ولم يقف العرب عند تعظيم هؤلاء من ملوك وكهنة وشعراء وسادة بل تعداه إلى تأليه الأبطال بعد مماتهم، من خلال ما أحاطوهم بصفات لا يتصف بها غير الآلهة، فنظروا إليهم كرموز مقدسة لها كل الإجلال والرهبة والتعظيم والقداسة.[1]

ومن خلال ما سبق من عبادة الأشخاص وتقديسهم عند العرب، فقد أقسموا بالآباء والأجداد، لما لهم من مكانة ومقام في نفوسهم، ومنهم من حلف وعقد الحلف عند المشاهد العظيمة، أو في معابد الأصنام، أو عند قبور سادات القبائل المحترمين، فيحلفون بصاحب هذا القبر ويذكرون اسمه على التعاقد والتآزر أو على ما يتفق المتحالفون عليه، وعلى الوفاء بالعهد.وقد روي أن النبيﷺ أدرك عمر بن الخطاب في رَكب وهو يحلف بأبيه، فنهاه الرسول ﷺ عن ذلك، وقد استمر الحلف بالآباء والأجداد حتى مجئ الإسلام، فنهى عن ذلك، وعلى الرغم من ذلك فإنّ الحلف بالآباء والأجداد موجود حتى في أيامنا الحاضرة، فنجد البعض يحلف بروح أبيه أو جده، ويُعدّ هذا القسم من أعظم الأيمان التي يجب الصدق بها.

ومن خلال استقرائي لجل الشعر الجاهلي، فلقد وقفت على بعض الشعر الذي يتضمن قسماً بالآباء والأجداد، ومن هذا الشعر: قول طرفة بن العبد:[2]

فلَولا ثَلاثٌ هُنَّ مِن حاجَةِ الفَتى　　　وَجَدِّكَ لَم أَحفِل مَتى قامَ عُوَّدي

وقوله أيضاً إلى عمرو بن هند، حين بلغه أنّه هجاه فأوعده، يقول:

---

[1]) المرجع السابق: 135

[2]) ديوان طرفة بن العبد: 32

إنّي وَجَدِّكَ ما هَجَوتُكَ وَال   أنصابِ يُسفَحُ بَينَهُنَّ دَمُ

ويقول عنترة:(1)

إنْ تَنجُ مِني يا ضُبَيعُ فإنّني   وَجَدِّكَ لَم أَعقِد عَلَيكَ التَّمائِما

وقول عبيد بن الأبرص:(2)

إنّي وَجَدِّكَ لَو أَصلَحتُ ما بِيَدي   لَم يَحمَدِ الناسُ بَعدَ المَوتِ إِصلاحي

ويقول الأعشى الكبير:(3)

فإنّي وَجَدِّكَ لَولا تَجيءُ   لَقَد قَلِقَ الخُرتُ أَنْ لا انْتِظارا

وهناك شواهد أخرى على القسم بالأجداد:(4)

وفي معرض القسم بالآباء يقول لبيد بن ربيعة العامري:(5)

فَلا وَأَبيكَ ما حَيٌّ كَحَيٍّ   لِجارٍ حَلَّ فيهِمْ أَو عَديم

ويقول حاتم الطائي:6

فَلا وَأَبيكَ ما يَظَلُّ ابنُ جارَتي   يَطوفُ حَوالَيْ قِدرِنا ما يَطورُها

ويقول الأعشى:(7)

---

1) ديوان عنترة:320

2) ديوان عبيد بن الأبرص: 40

3) ديوان الأعشى الكبير: 143

4) انظر: ديوان طرفة: 38، المفضليات: 118، الحماسة الشجرية: 687/2، ديوان الحماسة: 424/1

5) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: 103

6) ديوان حاتم: 232

7) ديوان الأعشى الكبير: 370

فَلا وَأبيكَ لا نُعطيكَ مِنها طِوالَ حَياتِنا إلّا سِنانا

ويقول امرئ القيس:[1]

لا وَأبيكِ ابنَةَ العامِريِّ لا يَدَّعي القَومُ أنّي أفِرّْ

ويقول عامر بن الطفيل:[2]

فَلا وَأبيكَ لا أنسى خَليلي بِبَدوَةَ ما تَحَرَّكَتِ الرِّياحُ

ويقول تميم بن أبي بن مقبل:[3]

فَلاَ وأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيزَةً عَلَى قَوْمِهَا مَا فَتَلَ الزَّنْدَ قَادِحُ

وهناك شواهد أخرى على القسم بالآباء.[4]

ولقد ورد على القسم بالأخ شاهد واحد، لم أجد غيره في الشعر الجاهلي، يقول حسان بن ثابت لرجل أسرته غسان يقال له أُبَيّ؛ يقول:[5]

فَلا وَأَخيكَ الكَريمِ الَّذي فخرتَ بِهِ لا تُرى تُعتَلُ

وقد لاحظت دخول (لا) النافية على فعل القسم في الشواهد الشعرية حول القسم بالأب أو الأخ، فهناك من اعتبرها لنفي القسم، والبعض اعتبرها لنفي الحاجة إلى القسم ومنهم عائشة عبد الرحمن حيث تقول:[6] " ومن نفي الحاجة إلى القسم، يأتي التوثيق والتقرير. لأنه يجعل المقام في غنى بالثقة واليقين عن الأقسام، والسر

[1]) ديوان امرئ القيس:154

[2]) ديوان عامر بن الطفيل: 78

[3]) ديوان ابن مقبل: 359

[4]) انظر:ديوان الحماسة: 26/2، ديوان حسان: 111، 277، شعر تميم في العصر الجاهلي: 77، شعر ضبة وأخبارها في الجاهلية والإسلام: 128، شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام: 384

[5]) ديوان حسان: 393

[6])الإعجاز البياني للقرآن: 285

البياني لهذا الأسلوب، يعتمد على قوة اللفت، على ما يبدو وبين النفي والقسم من مفارقه مثيرة لأقصى الانتباه."

فنقول لمن نثق فيه: لا تقسم أو من غير يمين فهذا يدل على أن هذا الشخص موضع ثقة؛ فلا حاجة إلى أنْ يقسم، وعندما توصي شخصاً بشيء معين، فإنّك تقول له من باب التأكيد: لا أوصيك بكذا وهذا تأكيد للتوصية. وكذلك جاء القسم بالأجداد مقترناً ب(إنّي) في جميع الشواهد الشعرية على ذلك، وهذا كذلك يأتي من باب تأكيد القسم، وسوف يتم تناول هذه الظواهر الأسلوبية في الفصل الأخير عند الحديث عن البناء التركيبي والظواهر الأسلوبية.

8:2 صيغ أخرى للقسم:

إضافة إلى ما سبق من موضوعات للقسم، كالقسم بالله والبيت والأصنام والنار وغيرها؛ فقد وجدت صيغاً أخرى للقسم في الشعر الجاهلي ولكنها قليلة متمثلة في كثير منها بشاهد واحد ومنها:

الحلف بكتاب الله كقول عدي بن زيد:(1)

ناشَدتَنا بِكتابِ اللَهِ حُرمَتَنا ... ولَم تَكُنْ بِكِتابِ اللَهِ تَرتَفِعُ

ومما دفع الشاعر إلى الحلف بكتاب الله انه كان نصرانياً وديّاناً وترجماناً وصاحب كتب وكان من دهاة أهل ذلك الدهر، فكانَ مطلّعاً على الكتب السماوية، فكانت تشكل بالنسبة له شيئاً مقدساً.

وهناك نوع آخر من الأيْمان وهو الحَلفُ بالمناسكِ والمشاعرِ وهذا واضحٌ في قول أبي مروان الضبي وهو ضرار بن ضبة من بني ذكروان:(2)

حَلَفتُ وَلَم أحلِف عَلى قِيلِ باطِلِ ... بِما بِمِنىً مِن مَنسَكٍ وَمَشاعِرِ

يَميناً لَئِن حُرثانُ كانَت تَسَرَّعَت ... بِلَومي لَقَد فاءوا عَلى شَرِّ طائِرِ

---

1) ديوان عدي بن زيد العبادي: 147

2) شعر ضبة وأخبارها في الجاهلية والإسلام:199

ويأتي الحلف بالمشاعر والمناسك لما لها من قدسية في حياة العرب الجاهليين لارتباطها بالحج والطواف المرتبط بالبيت المقدس (الكعبة).

وكذلك فعل القتّال الكلابّي، فقد حَلَفَ بالحجيج في قوله:[1]

حَلَفتُ بِحَجٍّ مِن عُمانَ تَحَلَّلوا ... بِبِئرَينِ بِالبَطحاءِ مُلقى رِحالُها

وهذا الحَلفُ مرتبطٌ حسب اعتقادي بالحج إلى البيت الحرام ومن هنا اكتسب القدسية والأهمية فالحجيج هم ضيوف الرحمن.ويقسم عوف بن الأحوص بالشهر الحرام في قوله: [2]

وَشَهْرِ بَني أُمَيَّةَ وَالهَدايا ... إِذا حُبِسَت مُضَرِّجَها الدِماءُ

فهذا الشهر كانت قريش تعظمه فنسب إلى بني أمية. وقد ميز هذا الشهر الذي يقع فيه الحج عن الأشهر الأخرى بتسميته بشهر ذي الحجة وبشهر الحج، وذلك لوقوع الحج فيه وهذه التسمية معروفة حتى الآن في التقويم الهجري، وهي تَسمية قديمة كانت معروفة في الجاهلية.

كما يمكن الإشارة إلى صيغ أخرى للقسم حذف فيها فعل القسم والمقسم به، وهذه الصيغة هي القسم باللام. يقول ابن يعيش النحوي:[3]"فاللام للتأكيد واتصال القسم إلى المُقسم عليه، وتفصل بين النفي والإيجاب ودخلت النون أيضاً مؤكدة وصارفة للفعل إلى الاستقبال وأعلام السامع أن هذا الفعل ليس بحال".ومن الأمثلة على ذلك قول زهير:[4]

لَيَأتِيَنَّكَ مِنّي مَنطِقٌ قَذَعٌ ... باقٍ كَما دَنَّسَ القُبطِيَّةَ الوَدَكُ

وقول لبيد بن ربيعة العامري:[5]

---

1) ديوان اللصوص: 96/2

2) أشعار العامريين في الجاهلية: 47

3) شرح المفصل:21/6

4) ديوان زهير:146

5) ديوان لبيد: 344

لَيَذهَبَنَّ أهلُهُ بِأهلي لا تَجمَعَن شَكلَهُمْ وَشَكلي

وقول الأعشى:[1]

لَأعرِفَنَّكَ إنِ جَدَّ النَفيرُ بِنا وَشُبَّتِ الحَربُ بِالطُوّافِ وَاِحتَمَلوا

وقوله كذلك:[2]

لَأعرِفَنَّكَ إنِ جَدَّت عَداوَتُنا وَاِلتَمِسِ النَصرَ مِنكُمْ عوضُ تُحتَمَلُ

وقول المهلهل:[3]

وَلَأَقتُلَنَّ جحَاجِحاً مِن بَكرِكُم وَلَأَبكِيَنَّ بِها جُفونَ عُيونِ

وقول الخنساء:[4]

لَأبكِيَنَّكَ ما ناحَت مُطَوَّقَةٌ وَما سَرَيتُ مَعَ الساري عَلى الساقِ

وقول امرئ القيس:[5]

هل ترقين إلى السَّماءِ بسُلَّمٍ ولترجِعَنَّ إلى العزيزِ ذليلا

وهناك شواهد أخرى على ذلك:[6]

ولقد لاحظت في الشواهد الشعرية السابقة دخول اللام على الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد الثقيلة، يقول ابن يعيش:" فإذًا دخلت على المستقبل فلا بد من النون الثقيلة أو الخفيفة".

---

1) ديوان الأعشى: 285

2)المصدر السابق: 286

3) ديوان المهلهل:90

4) ديوان الخنساء:305

5) ديوان امرئ القيس: 358

6) أنظر: ديوان زهير:100، شعر قيس بن زهير: 41، ديوان حسان: 112، ديوان سويد اليشكري: 41، المفضليات:62، 364، ديوان قيس بن الخطيم:190، ديوان المهلهل: 88، 90.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية لأسلوب القسم في الشعر الجاهلي

1:3 أنواع القسم:

يرد القسم في النصوص العربية على نوعين، قَسم صريح، وقسم مضمرا. فالصريح:[1] " ما ذُكِر معه فعل من الأفعال الدالّة عليه، كأقْسم وحَلَفَ، أو ما ذكر معه الحرف و الفعل معاً نحو: " يمين الله "، أو " قسماً بالله ".

أما القسم المضمر [2] " فهو ما لم يذكر معه القسم صريحاً، وله صورتان: ما دلّت عليه اللام، نحو قوله تعالى: " ﴿ **قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ** ﴾، وما دل عليه المعنى، نحو قوله سبحانه: ﴿**إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾[3] والتقدير في الحالتين "والله". وقد جرى القرآن في ذلك على سنن العرب في مخاطباتها، فالذي نجده في القرآن من أنواع القسم نجده في الشعر ومثال القسم الصريح في الشعر الجاهلي، قول المهلهل: [4]

آلَيتُ بِاللَهِ لا أَرضى بِقَتلِهِمُ   حَتّى أُبَهرِجَ بَكراً أَينَما وُجِدوا

وقول ثعلبة بن عمرو:[5]

فأقْسَمَ بالله لا يأتلي   وأقسمتُ إن نِلتَه لا يؤوبْ

وقول زهير:[6]

فَأَقسَمتُ جَهداً بِالمَنازِلِ مِن مِنىً   وَما سحفت فيهِ المَقاديمُ وَالقَمِلُ

ومثال القسم المُضمر في الشعر الجاهلي، قول زهير بن أبي سُلمى:[7]

---

1) دراسات في القرآن والحديث: 95.

2) المرجع السابق، 95.

3) سورة الطارق: الآية 4.

4) ديوان المهلهل: 24.

5) المفضليات: 254.

6) ديوان زهير: 99.

7) ديوان زهير: 146.

لَئِن حَلَلتَ بِجَوٍّ في بَني أَسَدٍ   في دينِ عَمرٍو وَحالَت بَينَنا فَدَكُ
لَيَأتِيَنَّكَ مِنّي مَنطِقٌ قَذَعٌ   باقٍ كَما دَنَّسَ القُبطِيَّةَ الوَدَكُ

2:3- الغرض من القسم

يأتي القسم في التراكيب العربية للتأكيد، وترتبط جملة القسم بالجواب، ارتباط المبتدأ بالخبر، أو جملتي الشرط والجزاء، قال أبن يعيش:(1) "فإنها كما أكد إحداهما بالأخرى صارت كالجملة الواحدة المركبة من جزأين كالمبتدأ والخبر". فيؤتى بالقسم غالباً إما لتأكيد معنى الجملة التي تسبق أو تلي جملة القسم، أو لإزالة الشك عن هذا المعنى، أو لإثارة شعور ما في نفس الإنسان كالتعجب، والاستعطاف، والألم...الخ.

3:3- الحذف والتخفيف في القسم

ويعرض للقسم ما يعرض لغيره من أساليب العربية، من تخفيف وحذف وقد علل النحاة هذا الحذف وذلك التخفيف، بكثرة الاستعمال، قال ابن يعيش:(2) " ولما كان القسم مما يكثر استعماله، ويتكرر دوره، بالغوا في تخفيفه من غير جهة واحدة." فقد حذفوا الفعل، للعلم به والاستغناء عنه، فقالوا:بالله لأقومنّ والمراد أحلف بالله.(3) ومثله قول الشاعر أوس بن حجر: (4)

وَاللَّهِ لَولا قُرزُلٌ إِذ نَجا   لَكانَ مَثوى خَدِّكَ الأَخرَما

ومما يكثر دورانه في أسلوب القسم حذف الفعل، ويجتزأ عنه بدلالة حرف الجر، يقول ابن يعيش: (5)" وقد يحذف الفعل تخفيفاً لكثرة القسم واجتزاء بدلالة حرف الجر عليه".ومن ذلك قول النمر بن تولب: (6)

فَواللَّهِ ما أُسقِي البِلادَ لِحُبِّها   وَلَكِنَّما أُسقيكَ حارِ بنَ تَولَبِ

---

1) شرح المفصل: 6/90، 93
2) شرح المفصل: 6/94
3) شرح المفصل: 6/ 94
4) ديوان أوس بن حجر: 113
5) شرح المفصل: 6/99
6) ديوان النمر بن تولب: 42

وقول زهير: (1)

وَقالَت أُمُّ كَعبٍ لا تَزُرنا   فَلا وَاللَهِ مالَكَ مِن مَزارِ

ويكثر حذف المقسم به ويجتزئون بدلالة الفعل عليه، ويقول ابن يعيش: " وربما حذفوا المُقْسم به واجتزءوا بدلالة الفعل عليه، يقولون: أُقسم لأفعلن وأشـــهد أفعلـــن، والمعنى: أُقسم بالله أو بالذي شاء في أقسم به"(2).

ويفسر ابن يعيش هذا الحذف تفسيراً ذكياً، حيث يعلل هذا النوع من الحذف:(3) " بكثرة الاستعمال وعلم المخاطب بالمراد".

قالت الخنساء: (4)

فأقسمتُ آسى عَلى هالِكٍ   وَأَسأَلُ نائحةً ما لَها

ونحوه، قول النابغة الذبياني: (5)

حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ رِيبَةً   وَلَيسَ وَراءَ اللَهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ

وقوله أيضاً: (6)

حَلَفتُ يَميناً غَيرَ ذي مَثنَوِيَّةٍ   وَلا عِلمَ إِلّا حُسنُ ظَنٍّ بِصاحِبِ

ومما يتصرفون به في أسلوب القسم، أنّهم يحذفون حرف القسم كثيراً وفـــسر هذا الحذف:(7)" تخفيفاً وذلك لقوة الدلالة عليه، وإذا حذفوا حرف الجر أعملوا الفعل في المُقْسَمِ عليه ونصبوه".

---

1) ديوان زهير: 246
2) شرح المفصل: 94/6
3) شرح المفصل: 94/6
4) ديوان الخنساء: 328
5) ديوان النابغة: 27
6) ديوان النابغة: 29
7) شرح المفصل: 103/6

وقد عدّ ابن يعيش هذا الحذف إمّا لضرورة شعر أو لضرب من التخفيف، والحق أنّ هذا الحذف لم يكن لضرورة الشعر، وإنّما كانت لغة الشعر تطلب ذلك.(1) وعليه، قول امرئ القيس: (2)

فَقالَت يَمينَ اللَهِ ما لَكَ حيلَةٌ وَما إِن أَرى عَنكَ العَمايَةَ تَنجَلي

وقوله أيضاً: (3)

كلّا يمينَ الإله يجمعنا شيئ وأخوالنا بني جُشَما

4:3 ظواهر أسلوبية للقسم في الشعر الجاهلي:

من الظواهر الأسلوبية التي تميز بها الشعر الجاهلي، ظاهرة تتصل بأسلوب الشعر الجاهلي في استخدام حروف القسم، فقد وردت التاء مقترنة بلفظ الجلالة (الله) ولم ترد مع أي اسم آخر كالرّب والرحمن وغير ذلك.

ويقول ابن يعيش: (4) " فالتاء بدل الواو في والله لأفعلن لشبهها من جهة اتساع المخرج...ولا تكون هذه التاء إلا في اسم الله تعالى لأنه لمّا كان أكثر ما يقسم به هذا الاسم طلب له حرف يخصه فكان ذلك الحرف هو التاء المبدلة من الواو في نحو قول الله تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ 5

وتأتي التاء كذلك في معنى التعجب، يقول أبن يعيش:6" واختصت التاء لضعفها بكونها في المرتبة الثالثة بان اختصت باسم الله تعالى لشرفه، وكونه اسماً لذاته سبحانه وما عداه يجري مجرى الصيغة فتقول: تالله لأفعلن، وفيها معنى التعجب قال ﷺ: ﴿قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ (7) ويقول

---

1) شرح المفصل: 103/6

2) ديوان امرئ القيس:14

3) ديوان امرئ القيس:14

4) شرح المفصل:95/6-96

5) الأنبياء الآية 57

6) شرح المفصل: 99/6

7) الأنبياء الآية 57

محمد عبد الخالق عضيمة:[1] " أقسموا بالتاء لأنها تكون في التعجب غالباً " ولا تستعمل التاء مع فعل القسم والسؤال أو تختص بالظاهر أي أن المقسم به، اسم ظاهر وهو لفظ الجلالة فقط.

ومن الشواهد الشعرية في الشعر الجاهلي على استخدام حرف التاء، قول الخنساء(ترثي صخراً): [2]

تَاللَّهِ أنسى ابنَ عَمروِ الخَيرِ ما نَطَقَتْ   حَمامَةٌ أو جَرى في البَحرِ عُلجومُ

وقول أبي ذؤيب الهذلي(يصف الأتان والحمار الوحشي): [3]

تَاللَّهِ يَبقى عَلى الأَيّامِ مُبتَقِلٌ   جَونُ السَراةِ رَباعٍ سِنُّهُ غَرِدُ

وقول زهير (يمدح هرم بن سنان): [4]

تَاللَّهِ قَد عَلِمَتْ قَيسٌ إِذا قَذَفَتْ   ريحُ الشِتاءِ بُيوتَ الحَيِّ بِالعُنَنِ

وقول عمرو بن كلثوم: [5]

تَاللَّهِ إِمّا كُنتِ جاهِلَةً   مِن سَعينا فَسَلي بِنا كَلبا

وهناك شواهد أخرى على استخدام حرف التاء في الشعر الجاهلي. [6] أمّا (الباء) فتعتبر أصل حروف القسم، ويأتي لمعانٍ كثيرة منها، الدلالة على القسم. ويدخل في كل محلوف به، فنقول: بالله، وبالبيت، وباللات، وبمناة، وغيرها.

---

1) دراسات لأسلوب القران الكريم: 98/2

2) ديوان الخنساء:125

3) ديوان أبي ذؤيب الهذلي:89

4) ديوان زهير: 111

5) ديوان عمرو بن كلثوم: 240

6) انظر ديوان حاتم الطائي:264، المفضليات:303، ديوان الأسود بن يعفر:59، ديوان أبي ذؤيب الهذلي:139، شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام: 163.

يقول ابن يعيش: [1] " أما الباء فهي اصل حروف القسم لأنها حرف إضافة ومعناه الإلصاق، فأضافت معنى القسم إلى المقسم به وألصقته به نحو قولك احلف بالله ".وقد خصت الباء بجواز ذكر الفعل معها، ودخولها على الضمير، نحو: بك لأفعلن، واستعمالها في القسم الإستعطافي نحو:بالله هل قام زيد ؟ فيجوز أن يكون المقسم بالباء اسماً ظاهراً أو ضميراً بارزاً. وعند تتبع القسم بوساطة حرف الباء في الشعر الجاهلي، وجدت أن الباء لم تدخل إلا على اسم ظاهر، ولم أجد ما يبين دخولها على ضمير، ووجدت كذلك انه حيثما تذكر الباء كحرف قسم، يؤت بفعل القسم معها، إلاّ في شواهد قليلة. ومن الأمثلة على استخدام حرف الباء في الشعر الجاهلي كحرف قسم ،قول المهلهل: [2]

آلَيتُ بِاللهِ لا أرضى بِقَتلِهِم   حَتّى أُبَهرِجَ بَكراً أينَما وُجِدوا

وقول ثعلبة بن عمرو: [3]

فأقْسَم بالله لا يأتلي   وأقسمتُ إن نِلتَه لا يؤوبْ

وقول زرقاء اليمامة: [4]

أُقسمُ باللهِ لَقَد دَبَّ الشَّجَرْ   أو حِمْيرٌ قَد أقبلَتْ شَيَئاً تَجُرّ

وقول آخر: [5]

حَلَفْتُ لَهُمْ بِالمِلحِ والجَمْعُ شُهَّدٌ   وبِالنَارِ واللّاتِ التي هي أعْظَمُ

وقول زهير: [6]

فَأقسَمتُ جَهداً بِالمَنازِلِ مِن مِنىً   وَما سحفت فيهِ المَقاديمُ وَالقَمْلُ

---

1) شرح المفصل: 99/6

2) ديوان المهلهل: 24

3) المفضليات: 254

4) شواعر الجاهلية: 259

5) البيان والتبيين: 8/3

6) ديوان زهير:99

فمن خلال الأمثلة السابقة نجد أن الباء قد ذكر معها فعل القسم، وان المحلوف به متعدد، فهناك القسم بالله، والنار والملح والأماكن المقدسة.

ولقد وردت الباء كحرف قسم دون ذكر فعل القسم معها ولكن في شواهد قليلة جداً، كقول أوس بن حجر: (1)

وَبِاللاتِ وَالعُزّى وَمَن دانَ دَينَها وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ مِنهُنَّ أَكبَرُ

ولم تدخل "الباء" قط على ضمير في القسم في الشعر الجاهلي مع جواز ذلك في أساليب العربية.

أمّا " الواو" فإنها تأتي لمعانٍ عدّةٍ منها: العطف، الاستئناف، والحال، والمعية، والقسم، والتأكيد، وواو القسم أقرب حروفه إلى الباء، لأنّهما من مخرج واحد، ولأنّ الواو للجمع والباء للإلصاق.

يقول ابن يعيش: (2) " فالواو بدل من الباء لأنّهم أرادوا التوسع لكثرة الأيمان وكانت الواو أقرب إلى الباء لأمرين: أحدهما أنّها من مخرجها لأنّ الواو والباء جميعاً من الشفتين. والثاني أنّ الواو للجمع والباء للإلصاق، فهما متقاربان لأن الشيء إذا لاصق الشيء فقد أجتمع معه، فلما وافقتها في المعنى والمخرج حملت عليها وأنيبت عنها وكثر استعمالها حتى غلبنها". ولذلك قدمها بعض النحاة وعلى رأسهم سيبويه. (3)

وتختلف الواو عن الباء في أنّها لا تدخل في القسم الاستعطافي ولا يجوز أنْ يذكر معها فعل القسم، ولا تدخل على ضمير فمن خلال استقرائي لكثير من دواوين الشعر الجاهلي لم أجد شاهداً واحداً ذُكر فيه فعل القسم مع الواو، أو دخول الواو على ضمير، ولكنّ الواو تدخل على كل محلوف ظاهر، فنقول: والله، والبيت،

---

1) ديوان أوس بن حجر:36

2) شرح المفصل: 99/6

3) كتاب سيبوية: 497/3

واللاّت، وأبيك، وجدك...إلخ ومن الأمثلة على ذلك، قول عبيد بن الأبرص: (1)

والله إن متُّ ما ضَرّني   وإن عشتُ ما عشتُ في واحدة

فَوَاللّهِ إن عِشتُ ما سَرّني   وَإن مِتُّ ما كانَتِ العائِدَه

وقول الخنساء: (2)

فَلا وَاللهِ ما سَلَّيتُ نفسي   بِفاحِشَةٍ علمتُ وَلا عُقوقِ

وقول الأعشى: (3)

لَسنا بِعيرٍ وَبَيتِ اللّهِ مائِرَةٍ   إِلّا عَلَيها دُروعُ القَومِ وَالزَغَفُ

وقول عبد المطلب بن هاشم القرشي: (4)

فلست- والبيت المغطى سترا

واللات والركن المحاذي حجرا

منك لنعماك الهي كفرا

ما دمت حياً أو أزور القبرا

وقول المُتلمّس الضُبعي: (5)

أَطْرَدْتَني حَذَرَ الهِجاءِ وَلا   وَاللاتِ وَالأَنصابِ لا تَئِلْ

---

1) ديوان عبيد بن الأبرص:62

2) ديوان الخنساء:66

3) ديوان الأعشى الكبير:209

4) شعراء جاهليون:102

5) ديوان المتلمس الضُبعي:42

وقول امرئ القيس[1]:

لا وَأبيكِ ابنَةَ العامِريِّ لا يَدَّعي القَومُ أنّي أفِرّْ

وقول الأعشى الكبير: [2]

فَلا وَأبيكَ لا نُعطيكَ مِنها طِوالَ حَياتِنا إلّا سِنانا

وقول حسان:[3]

فَلا وَأخيكَ الكَريمِ الَّذي فخرتَ بِهِ لا تُرى تُعتَلُ

وقول أوس بن حجر [4]

فَلا وَإلَهي ما غَدَرتُ بِذِمَّةٍ وَإِنَّ أَبي قَبلي لَغَيرُ مُذَمَّمِ

وهذا النمط التركيبي جاء وفق الآيات القرآنية في القسم من ذلك قوله تعالى[5]:﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ فقد اعتبر محمد عبد الخالق عضيمة أنّ (لا) الأولى نافية وليست بزائدة وهي مقدمة من تأخير و (لا) الثانية زائدة مؤكدة للأولى، في حين

يرى الزمخشري أنّ (لا) زائدة لتأكيد القسم[6]: ومن خلال ما ذكرت من شواهد فإنني أرى أنّ (لا) النافية التي سبقت القسم قد جاءت لتأكيد القسم أمّا (لا) الثانية فإنّها زائدة ولذلك فإنّه يجوز حذفها، إذا كان المنفي مضارعاً، ويتضح ذلك من خلال هذا الشاهد، في قول قيس بن عاصم: [7]

---

1) ديوان امرئ القيس:154

4) ديوان الأعشى الكبير: 370

5) ديوان حسان بن ثابت:393

4) ديوان أوس بن حجر:118

5) سورة النساء: الآية 65

6) دراسات لأسلوب القران الكريم: القسم الأول 571/2

7) شعر بني تميم في العصر الجاهلي: 154

فلا واللهِ أشربُها حياتي ولا أدعو لها أبداً نديما

والتقدير فلا والله لا أشربها، فقد حذفت (لا)الثانية في جواب القسم و لو كانت (لا) الثانية توكيداً ما جاز حذفها لأن حذف المؤكد لا يجوز، ويتمثل ذلك في قول الله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ والتقدير: تالله لا تفتأ تذكر يوسف.

وفي (لا)النافية تقول عائشة عبد الرحمن:[1] "وفرقٌ بعيد أقصى البعد بين أنْ تكون (لا) لنفي القسم كما قال بعضهم وبين أنْ تكون لنفي الحاجة إلى القسم...ومن نفي الحاجة إلى القسم، يأتي التقرير والتوثيق، لأنّه يجعل المقام في غنى بالثقة و اليقين عن الاقتسام." فالسر البياني لهذا الأسلوب، يعتمد في قوة اللّفت، بين النفي والقسم من مفارقة مثيرة لأقصى الإنتباه.

وظاهرة أسلوبية أخرى نلاحظها على أسلوب القسم عند العرب في الشعر الجاهلي وتتمثل في اقترانه بأداة الزجر و الردع "كلا"، ونلاحظ أنّ النمط التركيبي لهذه الظاهرة جاء على الصورة الشكلية الآتية:

كلاّ+حرف القسم+المقسم به+جواب القسم

أمّا الصورة الرمزية لهذا النمط جاءت على الصورة الآتية:

كلاّ + واو القسم + المقسم به...ربّ + جواب القسم

يمين

والشاهد على هذه الظاهرة، كقول خداش بن زهير:[2]

كَلّا وَرَبِّ القِلاصِ الراقِصاتِ بِنا عَشِيَّةَ النَفْرِ أَمثالَ القَراقيرِ

وقول حسّان بن ثابت:[3]

كَلّا وَرَبِّ الراقِصاتِ إِلى مِنىً وَالجائِبينَ مَخارِمَ الأَطوادِ

---

1) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل أبن الأزرق:285

2) أشعار العامرين الجاهلين:33

3) ديوان حسان: 327

وقول امرئ القيس: (1)

كلا يمينَ الإله يجمعنا　　　شيء وأخوالنا بني جُشما

وقول الأعشى: (2)

كلّا! يَمينَ اللهِ حَتّى تُنزِلوا　　　مِن رَأسِ شاهِقَةٍ إِلَينا الأَسوَدا

وقول سنان بن الفجل (3)

وقالوا قد جُنِنت فَقُلتُ كلا　　　وَرَبّي ما جُنِنتُ وما انتَشَيتُ

وقد جاء هذا النمط على وفاق الآيات القرآنية في القسم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ (4)

فنلاحظ اقتران (كلا) بغير الفعل في الآيات القرآنية السابقة والشواهد الشعرية، ونجد أنّ (كلا) قوت القسم وغلظته وأعطته الاهتمام، ومن الملاحظ مصاحبة (كلا) لواو القسم في هذه الظاهرة، ودلالة على أنّ (كلا) تستعمل للإنكار الذي يختلف شدة وقوة بحسب السياق. وقد وجدت أنّ أكثر ما ترد (كلا) مقترنة مع القسم الصريح في الشعر الجاهلي.

ومن الظواهر الأسلوبية التي لاحظتها في أسلوب القسم في الشعر الجاهلي، حذف حرف القسم (الواو) والتعويض عنه بـ(هاء التنبيه)، ومن الأمثلة على ذلك، قول زهير بن أبي سُلمى: (5)

تَعَلَّمَنْ ها – لَعَمرُ اللهِ– ذا قَسَماً　　　فَاقصدْ بِذَرعِكَ وَانظُر أَينَ تَنسَلِكُ

---

1) ديوان امرئ القيس: 208

2) ديوان الأعشى: 107

3) ديوان الحماسة: 230/1

4) سورة المدثر: الآية 32-33

5) ديوان زهير:146

وتبين من خلال هذا الشاهد مصاحبة اسم الإشارة (ذا) لهاء التنبيه بعد الاسم المقسم به. يقول سيبويه[1]" لأنّ قولهم: ها صار عوضاً من اللفظ بـالواو، فحـذفت تخفيفاً على اللسان."، ويقول:[2]"وأمّا قولهم:ذا، فزعم الخليل أنّه المحلوف عليه، كأنّه قال: أي والله للأمرُ هذا، فُحذف الأمرُ لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم، وقدمها، كما قَدّمَ قوم ها في قولهم: " ها هو ذا ".

وذهب أبو العباس المبرّد إلى أنّ:" ذا" "هو" " الشيء الذي يقسم به، والتقدير: لا والله ما أقسم به، فحذف الخبر" [3] ويقول أبو الحسن:" إنّ "ذا" "من جملة الجواب، وهو خبر مبتدأ محذوف والتقدير لا والله الأمر ذا." [4] وتأتي ها في بداية القسم للفت الانتباه إليه وتأكيده والإشارة إلى أهميته.

وظاهرة أسلوبية أخرى تميز بها أسلوب القسم في الشعر الجاهلي، وهي تأكيد القسم بعنصر توكيدي (إنّ)، ونلاحظ أنّ النمط التركيبي لهذه الظاهرة جـاء علـى الصورة الشكلية الآتية:

عنصر توكيدي + حرف القسم + المقسم به + جواب القسم

أو حرف القسم + المقسم به + عنصر توكيدي + جواب القسم.

والصورة الرمزية لهذه الظاهرة:

إنّ + واو القسم + المقسم به...الله + جواب القسم

جد

ربّ

ومن الشواهد الشعرية على هذه الظاهرة، قول عبيد بن الأبرص: [5]

إنّي وَجَدّكَ لَو أَصلَحتُ ما بِيَدي   لَم يَحمَدِ الناسُ بَعدَ المَوتِ إِصلاحي

---

1) كتاب سيبوية:499/3

2) المرجع السابق: 499/3 وانظر شرح المفصل: 93/6

3) شرح المفصل: 106/9

4) المرجع السابق: 106/9

5) ديوان عبيد بن الأبرص : 40

وقول شمر بن عمرو الحنفي: (1)

غَضْبانُ ممتلئاً عليَّ إهابهُ   إنّي وربِّكَ سُخْطُهُ يُرْضيني

وقول عدي بن زيد العبادي: (2)

إنَّني وَاللَّهِ فَأقبَل حَلْفَتِي   لَأبيلٌ كُلَّما صَلَّى جَأَر

وقول طرفة بن العبد: (3)

وَقَرَّبتُ بِالقُربى وَجَدِّكَ إِنَّني   مَتى يَكُ عَهْدٌ لِلنَكيثَةِ أَشْهَدُ

ويقول ابن يعيش: (4)"وأمّا "إنّ" فتختص بالإسم كقولك والله إنّ زيداً قائمٌ، وقوله تعالى﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ فالجواب بالفعل واقع على الفعل والجواب بإنّ واقع على الخبر لأنه في معنى الفعل".وهي (إنّ) "وصلةٌ للقسم، لأنَّ للقسم أدوات تصله بالمقسم به، ولا يتصل إلاّ ببعضها ".(5)

ومن الظواهر الأسلوبية التي تميز بها أسلوب القسم في الشعر الجاهلي حذف الخبر من الجملة الابتدائية نحو: لعمرك و ليمينك و أمانة الله فهذه كلها مبتدآت محذوفة الأخبار تخفيفاً لطول الكلام بالجواب والمراد لعمرك ما أقسم به، مثل قوله تعالى: (6)﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

يقول ابن يعيش: (7)"ولكثرة القسم في كلامهم أكثروا التصرف فيه وتوخوا ضروباً من التخفيف من ذلك حذف الخبر في لعَمْرك، والمعنى لعَمْرك ما أقْسِم به ".فالجملة الاسمية في القسم نحو قولك: لعَمْرك و عَمْر أبيك ولعمر الله، فعمرك مبتدأ

---

1) شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإسلام : 382
2) ديوان عدي بن زيد العبادي : 61
3) ديوان طرفة بن العبد : 38
4) شرح المفصل : 97/6
5) كتاب المقتضب : 233/2
6) سورة الحجر : الآية 72
7) شرح المفصل : 93/6

واللام فيها لام الابتداء والخبر محذوف، وتقديره قسمي أو حلفي وقد حذفوه لطول الكلام بالمقسم عليه ولزم الحذف لذلك كما لزم حذف الخبر في قولك:"لولا زيد لكان كذا" لطول الكلام بالجواب.

وقد استعمل العرب قي القسم ب(عَمْر) المفتوح دون المضموم وذلك لكثرة القسم اختاروا له أخفّ اللغات؛ فإذا دخلت عليه اللام رفع بالابتداء لأنها لام الابتداء.

ومن الشواهد الشعرية في الشعر الجاهلي على حذف الخبر من الجملة الابتدائية، قول أبي زبيد الطائي: (1)

وَلَعمرُ الإلَهِ لَو كانَ لِلسَي ف مَصالٌ وَلِلِّسانِ مَقالُ

وقول بشر بن أبي خازم الأسدي: (2)

لَعَمرُكَ ما يَطلُبْنَ مِن أهلِ نِعمَةٍ وَلَكِنَّما يَطلُبنَ قَيساً وَيَشكُرا

وقول الحارث بن حلزة: (3)

لَعَمرُ أبيكَ الخَيرِ لَو ذا أطاعَني لَغُدِّيَ مِنهُ بِالرَحيلِ الرَكائِبُ

وقول الأعشى الكبير: (4)

فَلَعَمرُ جَدِّكَ لَو رَأَيتَ مُقَامَنا لَرَأَيتَ مِنّا مَنظَراً وَمُؤَيَّدا

وقول عدي بن زيد العبادي: (5)

ولعَمرُ الدَّارِ لو أنَّ بها أهلَها إذ دَمعُ عينيكَ سَجَمْ

---

1) شعر أبي زبيد الطائي : 129

2) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي : 78

3) ديوان الحارث بن حلزة : 21

4) ديوان الأعشى الكبير : 108

5) ديوان عدي بن زيد العبادي: 73

وظاهرة أسلوبية أخرى امتاز بها أسلوب القسم في الشعر الجاهلي، وهي حذف جملة القسم؛ فتحذف إذا دلّ عليها دليل، والقسم في حال حذف جملته يسمى مضمراً أو مقدّراً، وفي حال ذكرها يسمى صريحاً أو ظاهراً وقد حدد السيوطي مواضع حذف جملة القسم في قسمين: واحد دلّت علية اللام، والآخر دلَّ عليه المعنى.(1)

وفي الشعر الجاهلي نجد شواهد عدة حذفت فيها جملة القسم ودل على القسم الجواب المرتبط باللام (لأفعلن)، وقد تحدث ابن يعيش عن هذه اللام، فقال:وأمّا اللام الداخلة على الفعل فهي تدخل على الماضي والمستقبل، فإذا دخلت على المستقبل فلابد من النون الثقيلة أو الخفيفة ...فاللام للتأكيد واتصال القسم إلى المقسم عليه وتفصيل بين النفي والإيجاب ودخلت النون أيضا مؤكدة وصارفة للفعل إلى الاستقبال وإعلام السامع أنّ هذا الفعل ليس للحال." ومن الشواهد الشعرية على هذه الظاهرة، قول الخنساء: (2)

لَأبكِيَنَّكَ ما ناحَت مُطَوَّقَةٌ وَما سَرَيتُ مَعَ الساري عَلى ساقِ

وقول المهلهل: (3)

وَلَأَقتُلَنَّ جَحاجِحاً مِن بَكرِكُم وَلَأبكِيَنَّ بِها جُفونَ عُيونِ

وقول قيس بن الخطيم: (4)

لأُصَرِّفَنَّ سِوى حُذَيْفَةَ مِدْحَتي لِفَتى العَشِيِّ وَفارِسِ الأَجرافِ

فمن خلال الشواهد السابقة نجد أنّ جواب القسم (لأبكِيَنّ، ولأقتلن، لأُصَرِّفَنَّ...) على نية القسم؛ فإذا قلت لأفعلن فكأنكَ قلت واللهِ لأفعلن، فاللام هنا جاءت للتأكيد و الدلالة على القسم، والنون الثقيلة أو الخفيفة لزمت الفعل المقترن باللام للفصل بين اللام الداخلة في جواب القسم والداخلة لغير القسم، لأنّ اللام التي

---

1) الإتقان في علوم القران: 48/4.
2) ديوان الخنساء : 305
3) ديوان المهلهل : 90
4) ديوان قيس بن الخطيم : 190

معها النون لا تكون إلاّ للمستقبل والتي ليس معها النون تكون للحال.[1] ومن هنا فإنّ جملة جواب القسم المرتبطة باللام جاءت مؤكدة لجملة القسم المحذوفة، لأنّ القسم جملةٌ تؤكد بها جملةٌ أخرى وقد جاءت هذه الزيادة في التأكيد من لام القسم والنون الثقيلة المرتبطة بالفعل المضارع المثبت الواقع في الجواب لقسم محذوف (مُقدّر)ففي زيادة مبناه زيادة لمعناه في التوكيد لا من جهة كونه جواباً لِقَسَم فقط وهذا النمط التركيبي لهذه الظاهرة جاء على وفاق الآيات القرآنية في القسم، من ذلك قوله تعالى [2]:﴿ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ.﴾.وقوله عز وجلّ أيضاً [3]:﴿ . قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

ومن الظواهر الأسلوبية التي امتاز بها الشعر الجاهلي أيضاً اقتران جواب القسم ب"لام القسم" و "قد" معاً إذا كان فعلاً ماضياً مُتصرِّفاً مثبتاً، فالنحويون يرون أنّ الفعل الماضي المثبت الواقع في جواب القسم حقه (اللام)و(قد).

ذكر ابن عصفور أنّ القسم إذا أُجيب بماضٍ مُتصرف مثبت، فإنْ كان قريباً من الحال جيء باللام و قد جميعاً[4]ويقول ابن يعيش:"ولام الابتداء لا تدخل على الماضي المحض فأتي بقد معها لأنّ قد تقرب من الحال " [5]والزمخشري يرى أنّ مجئ(لقد) في جواب القسم للتوقع لا للتقريب، أمّا ابن مالك فقال: إنّها تفيد التقريب وإنّ شرط دخولها كَوْنَ الفعل متوقعاً، ومن المعاني التي تفيدها أيضاً التحقيق و التوكيد[6] ومن الشواهد الشعرية على هذه الظاهرة، قول المهلهل: [7]

---

1) انظر شرح المفصل:96/6

2) سورة البقرة :الآية 95

3) سورة البقرة: الآية 143

4) مغنى اللبيب:229/1

5) شرح المفصل : 21/6

6) مغنى اللبيب: 231/1

7) ديوان المهلهل : 71

وَلَعَمري لَقَد وَطِئتُ بَني بَكْرٍ   بِما قَد جَنَوهُ وَطءَ النِعالِ

وقول عنترة: (1)

لَعَمري لَقَد أعذَرتُ لَو تَعذُرِيني   وَخَشَّنْتِ صَدْراً غَيْبُهُ لَكِ ناصِحُ

وقول امرئ القيس: (2)

لعمري لقد بانت بحاجةِ ذي هَوىً   سُعادُ وراعتْ بالفِراقِ مُرَوَّعا

وقول الأعشى: (3)

لَعَمري لَقَد لاحَتْ عُيونٌ كَثيرَةٌ   إِلى ضَوءِ نارٍ في يَفاعٍ تُحَرَّقُ

وقول أوس بن حجر: (4)

لَعَمري لَقَد بَيَّنتُ يَومَ سُوَيقَةٍ   لِمَن كانَ ذا لُبٍّ بِوِجهَةِ مَنْسِمِ

وقد جاء هذا النمط التركيبي في القسم على وفاق الآيات القرآنية في القسم، ومن ذلك قوله تعالى:(5)﴿ **قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴾ فالمقسم عليه (لقد آثرك) وقد تلقى القسم باللام وقد لتحقيقه، والفعل المقسم عليه ماض متصرف مثبت.

كذلك فقد جاء في الشعر الجاهلي، اقتران جواب الشرط باللام فقط، إذا كان الفعل المقسم عليه ماضياً غير متصرف، وتحديداً مع الفعلين (بئس ونعم) لأنهما جامدان. (6) ومن الأمثلة على ذلك في الشعر الجاهلي: قول زهير بن أبي سلمى: (7)

---

1) ديوان عنترة : 299

2) ديوان امرئ القيس : 209

3) ديوان الأعشى الكبير : 236

4) ديوان أوس بن حجر : 118

5) سورة يوسف: الآية 91.

6) أساليب التأكيد في اللغة العربية : 156

7) ديوان زهير بن أبي سلمى : 44

لَعَمري لَنِعمَ الحَيُّ جَرَّ عَلَيهِمُ		بِما لا يُواتيهِم حُصَينُ بنُ ضَمضَمِ

وقوله ايضاً: (1)

يَميناً لَنِعمَ السَيِّدانِ وُجِدتُما		عَلى كُلِّ حالٍ مِن سَحيلٍ وَمُبرَمِ

وقول سويد بن أبي كاهل اليشكري: (2)

لَعَمري لَبِئسَ الحَيُّ شَيبانُ إِن عَلا		عُنيزَةَ يَومٌ ذو أَهابِيَّ أَغبَرُ

ففي الأمثلة السابقة نلاحظ اقتران جواب القسم باللام فقط دون (قد) وذلك لأنّ الفعل المقسم عليه فعل ماضٍ غير متصرف (نعم، بئس) ومثل هذا النمط جاء في القرآن الكريم، كقوله تعالى: (3)﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ وقوله تعالى:(4) ﴿فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

وظاهرة أسلوبية أخرى امتازت بها ظاهرة القسم في الشعر الجاهلي؛ وهي اجتماع أسلوب القسم مع الشرط، وأكثر أدوات الشرط استعمالاً في أجتماعهما:(إنْ) مقترنة باللام الموطئة، وهذه اللام يسمونها أحياناً لام الشرط لدخولها على أداة الشرط (إنْ)، والبعض يسميها الموطئة لأنّها أذنت بأنّ الجواب للقسم دون الشرط، وهي دليل على اقتران القسم بالشرط، وليست المتلقية للقسم، يقول ابن يعيش: (5)"هذه اللام يسميها بعضهم لام الشرط لدخولها على حرف الشرط وبعضهم يسميها الموطئة لأنّها يتعقبها جواب القسم، كأنّها توطئة لذكر الجواب وليس جواباً للقسم وإنْ كان ذلك أصلها لأنّ القسم لا يجاب بالشرط كما لا يجاب بالقسم لأنّ الشرط يجري مجرى القسم لما بينهما من المناسبة من جهة احتياج كل واحد منهما إلى جواب".

---

1) أيام العرب في الجاهلية : 273

2) ديوان سويد بن ابي كاهل اليشكري : 19

3) سورة الصافات: الآية 75.

4) سورة النحل: الآية 29.

5) شرح المفصل : 22/6

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي: قول عمرو بن الورد:[1]

لَعَمري لَئِن عَشَّرتُ مِن خَشيَةِ الرَدى　　نُهاقَ الحَميرِ إِنَّني لَجَزوعُ

وقول الأعشى الكبير: [2]

لَعَمري لَئِن أَمسى مِنَ الحَيِّ شاخِصا　　لَقَد نالَ خَيصاً مِن عُفَيرَةَ خائِصا

وقول المسيب بن علس: [3]

لَعَمري لَئِن جَدَّت عَداوَةُ بَينِنا　　لِيَنْتَحِيَنْ مِنّي عَلى الوَخمِ مَيسَمُ

وقول دخنتوس بنت لقيط: [4]

لَعَمري لئِن لاقت مِنَ الشَّرِّدَارِمٌ　　عَنَاءً لَقَد آبت حميداً ضِرابُها

فمن خلال الأمثلة السابقة فإنّ اللام الأولى مؤكدة وموطئة للجـواب، والـلام الثانية في جواب القسم هي لام القسم، والشرط ملغى لا عمل له لأنّ القسم هو الذي تصدّرَ، والشرط كان حشواً، فإذا اجتمع الشرط والقسم فأيّهما سبق الآخر وتـصدر كان الجواب له، فمثلاً؛ إذا قلت: إنْ تدرس والله تنجح جزمت الجواب بحرف الجزاء لتصدره وألغيت القسم لأنّه حشو، وكذلك في قولك: والله لئنْ ساعدتني لأسـاعدنّك، فاللام الأولى موطئه والثانية جواب القسم.

واللام الموطئة زائدة غير عاملة يجوز بها الذكر والحذف:" إنّ هذه اللام بمنزلة (أنْ) في قولك: والله أنْ لو فعل لفعلت، تثبتها تارة وتحذفها تارة أخرى، واللام الثانية هي المعتمدة، والأولى زيادة كان سقوطها لا يخل بالكلام، واختص به القسم."[5]

---

1) ديوان عروة بن الورد : 95

2) ديوان الاعشى الكبير: 189

3) ديوان المسيب بن علس : 134

4) شواعر الجاهلية : 250

5) أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط : 251

وقد جاءت هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي على وفاق الآيات القرآنيـــة فـــي القسم في اجتماعه مع الشرط ومن ذلك قول الله تعالى: [1]﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّـــهِ جَهْـدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَـــا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾. وقوله تعالى:[2] ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَـضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

يتبين لنا من دراسة هذا الفصل للظواهر الأسلوبية في ظاهرة القـــسم فـــي الشعر الجاهلي، أنّها جاءت وفاقاً لما هي عليه في الآيات القرآنية التي تضمنت هذا الأسلوب.

5:3 الخاتمة

بعد دراسة أيمان العرب في الشعر الجاهلي فقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

اليمين من الناحية الاجتماعية هو نوع من الإنضباط الفردي والجماعي فـــي التنظيم الاجتماعي، وللبيئة التي يعيش فيها الإنسان دورٌ كبيرٌ في الالتزام بـــاليمين، فنظام الحلف أو أداء اليمين من النظّم السياسية التي تحتل أهمية وظيفية بالغـــة فـــي البناء الاجتماعي، لأنّه يعكس مدى الوحدة والتماسك بين أبناء المجتمع الواحد، ومـــا يشكله اليمين من ضوابط اجتماعية تجعل قدسيةً ومهابةً تدفع الناس إلـــى الالتـــزام باليمين وعدم الحنث به.

كذلك فإنّ الجاهليين لم يفرقوا بالمعنى في استخدام فعلي القسم (حلف وأقسم) في أقوالهم، فقد استُخدمت الكلمتان بمعنى واحد، وكأنهما مترادفتان، علـــى عكـــس استخدامهما في القران الكريم حيث استعمل الفعل حلف وما يشتق منه في معـــرض اليمين الكاذب وغالباً ما أُسند القسم إلى الله ﷻ.

كما أنّه قد تعددت موضوعات القسم في الشعر الجاهلي، فهناك: القسم بـــالله، والقسم بعَمْر، والقسم بالأصنام والأوثان والأنصاب، والهـــدي والقـــرابين، والنـــار والملح والرماد وببيت الله (الكعبة)، وبالآباء والأجداد، وهناك بعض الأيمان النـــادرة

---

1) سورة الأنعام : الآية 110.
2) سورة التوبة : الآية 76.

التي وردت في الشعر الجاهلي مثل الحلف بكتاب الله، والمناسك والمشاعر والشهر الحرام، لكن لم يرد على كل منها سوى شاهدٌ واحدٌ أو شاهدين.

وإنّ كثيراً من العرب من كان يؤمن بوجود الله تعالى وقدرته وعظمته وكانوا يعتقدون أنّ للعالم خالقاً واحداً خلق الكون وسوّاه، فكانوا موحّدين، ويتضح ذلك من خلال تلبياتهم وأدعيتهم، ومن خلال الآيات القرآنية الدالّة على ذلك، لذا فقد أقسموا بالله وجاءَ قسمهم من قبيل التعظيم والتقديس، فقد أوردت أشعاراً تتصل بالتوحيد والإيمان بالله.

ومن خلال استقرائي لجلّ الشعر الجاهلي، فإنّني لم أجد فيه قسماً بمظاهر الطبيعة، وإنّما وجدت ما يدل على ذلك كقول كليب بن ربيعة:

إني ورب القمر المنير

والحجر الأسود ذي الستور

كذلك فإنني لم أجد في الشعر الجاهلي قسماً بالحيوان، ولكن هناك ما يدل عليه من خلال قسم الشعراء الجاهليين برب الإبل، والقلاص والراقصات والداميات والمُخيّسات.

كما أنّ الدراسة قد توصلت إلى أنّ هناك دوراً واضحاً للرواة في عصر الإسلام في نقل الشعر الجاهلي واختفاء جزء منه، فقد كانوا يتعمدون تجاهل نقل الشعر الذي فيه تمجيدٌ وقسمٌ بالأصنام والشعر الذي يمجّد بعض العادات الجاهلية التي نهى عنها الإسلام، فوجدت أنّ الشواهد الشعرية في الشعر الجاهلي حول القسم بالله أكثر بكثير من شواهد القسم بالأصنام بالرغم من العدد الهائل للأصنام في مكة وحدها، وانتشارها في كل بيت.

وأقسم الجاهليون وتحديداً الشعراء منهم بالهدي والقرابين؛ لأنّها مقدسة عندهم، وقد استمدت قدسيتها وعظمتها من قدسية وعظمة المهدى له، كما أنهّم أقسموا بالأصنام؛ بسبب تقديسهم وتعظيمهم لها لأنّهم كانوا يرون فيها وسيلة تقربهم إلى الله ﷻ،حيث اعتقدوا أنّه ليس لهم أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته، فعبدوها تقرباً إلى الله تعالى.

وتجدر الإشارة إلى أنّ أكثر الأصنام التي أقسم بها الشعراء الجاهليون "اللات" يليه " العزى" أمّا باقي الأصنام التي ورد فيها قسم في الشعر الجاهلي، فلم يرد عليها سوى شاهد واحد أو شاهدين، مثل مناة، ونَهُم، وعائم، وسُعير، والأقَيْصِر، وذات الوَدْع، وكثْرى.

أمّا عبادة العرب للنار وتقديسهم وتعظيمهم لها، مما أدّى إلى القسم بها في شعرهم، وجاء هذا التقديس للنار من خلال اتصالهم بالمجوس، فكان لأهل مكة اتصال وثيق بالحيرة، ولأهل الحجاز اتصال باليمن، كما أنّ البعض علل سبب تقديس العرب للنار حاجتهم الملحّة لها، فنظر إليها العربي على أنّها مقدسة وأقسم بها؛ لأنّ القسم التجاء الإنسان إلى مصادر القوة يحتمي بها.

كذلك فقد وردت "عَمْر" في أسلوب القسم في الشعر الجاهلي، مضافة إلى ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، ووردت مضافة إلى اسم ظاهر أو إلى اسم الجلالة، ولكن من خلال إطلاعي على القسم في دواوين الشعر الجاهلي، لم أجد إضافة عَمْر إلى ضمير الغائب.

كما لاحظت أنّ القسم بعَمْر في الشعر الجاهلي قد جاء في باب الحكمة والموعظة المرتبطة بالموت وطوارق الأيام وحدثانها، وقد أوردتُ أمثلة من الشعر الجاهلي على ذلك، كذلك فإنّ القسم بـ(عَمْر) إذا أضيف إلى اسم غير لفظ الجلالة كالأب أو الجد أو إلى علم، فان عَمْر تعني (ربّ)، فالشاعر عندما يقسم بعَمْر الدار فإنّه يقسم بربّ الدار الذي خلقها، لأنّ القسم هو التجاء الإنسان إلى مصادر القوة يحتمي بها، فلا يمكن أنْ تكون عَمْر هنا بمعنى آخر.

أمّا القسم بالآباء والأجداد في الشعر الجاهلي فقد جاء من باب تقديس وتعظيم الأشخاص تصل أحياناً إلى درجة العبادة، لما لهم من مكانةٍ ومهابةٍ في نفوس الآخرين، مثل سادة القبائل والكهنة والملوك وغيرهم.

وجاء قَسَم الشعراء الجاهليين بالكعبة (بيت الله) في شعرهم واضحاً، في حين أنّ الكعبات الأخرى والتي ورد بعض أسمائها في الشعر الجاهلي، لم يقسم بها الشعراء، والسبب في ذلك، أنّ العرب في الجاهلية نظروا إلى كعبة مكة نظرة تقديس وتعظيم لارتباطها بالخالق مباشرة، وكونهم كانوا يؤمنون بوجود الله، وأنّه

خالق هذا الكون، وسموا أنفسهم أهل الله في مكة لأنهم قريبون من الكعبة، فاستمدت الكعبة قداستها وعظمتها من عظمة الخالق ﷻ، فاعتبر العرب القسم بالله وببيته من أعظم الأيمان التي لا يجوز الحنث بها.

كما تبين من دراسة الظواهر الأسلوبية في ظاهرة القسم في الشعر الجاهلي أنّها جاءت وفاقاً كما هي عليه في الآيات القرآنية التي تضمنت هذا الأسلوب، كاقتران التاء بلفظ الجلالة في أسلوب القسم، واقتران القسم بلا النافية أو اقترانه بأداة الردع والزجر (كلا)، أو حذف الخبر من الجملة الإبتدائية في أسلوب القسم، أو حذف جملة القسم، وغيرها من الظواهر التي تم دراستها في الفصل الأخير لأنّ القرآن الكريم قد جرى على عادة العرب في القسم إذا أرادوا توكيد أمر في مواجهة من ينكره.

وفي الختام فإنّني آملُ أنّ يكون الله تعالى قد وفقني لما فيه الخير والمنفعة.

المراجع

الأبرص، عبيد، 1957م: **ديوانه**، تحقيق وشرح حسين نصار، شركة مكة، القاهرة، الطبعة الأولى.

ابن الشجري، 1349هـ: **الأمالي الشجرية**، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد.

ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسنني (ت542هـ)، 1970م: **الحماسة الشعرية** ـ تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

ابن مقبل، 1962م، **ديوانه**، عني بتحقيقه عزة حسن، مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم، (5) دمشق، دط.

ابن منظور، دت: **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، دط.

ابن هشام، 1955م: **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، البابي الحلبي، مصر.

ابن يعيش، الشيخ العلامة موفق الدين يعيش بن علي (ت643هـ)، دت: **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، دط.

أبو الفتوح، محمد حسين، 1995م: **أسلوب التوكيد في القران الكريم**، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى.

أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، دت: **كتاب سيبوية**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دط.

أبو سويلم، أنور، 1987م: **دراسات في الشعر الجاهلي**، دار عمار، عمان، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

أبو سويلم، أنور، 1991م: **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**، دار عمار، عمان، دط.

أبو عودة، عودة خليل، 1985م: **التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم**، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الأولى.

أبو لبه، الحاج عبد الرحمن حسن، 2003م: **رياض الصالحين**، دار الكتاب الجامعي، العين.

أبو ياسين، حسن بن عيسى، 1995 م: **شعر ضبّة و أخبارها في الجاهلية و الإسلام**، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى.

أحمد محمد عبيد، 2001م: **شعراء جاهليون**، المجمع الثقافي، دار الانتشار العربي، بيروت، دط.

أحمد، أحمد إبراهيم سيد، 1989م: **الشاهد النحوي في شعر زهير**، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى.

الازرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، 1983م: **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق: رشيد الصالح ملحس، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية.

الأسد، ناصر الدين، 1988م: **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، دار الجيل، بيروت، الطبعة السابعة.

الأسدي، بشر بن أبي خازم، 1994م: **ديوانه**، قدم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى.

الأسود بن يعفر، 1968 م: **ديوانه**، صنعة نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، دط.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، دت: **الاصمعيات**، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، الطبعة الخامسة.

الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، 1992 م: **ديوانه**، قدم له و وضع هوامشه وفهارسه، حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

الألوسي، السيّد محمود شكري، دت: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، دط.

أمية بن أبي الصلت، دت: **ديوانه**، صنعه عبد الحفيظ السطلي، الطبعة الثانية.

الأنصاري، جمال الدين بن هشام (761هـ)، 1992م: **مغني اللبيب**، تحقيق د. مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.

الأودي، الافوه، 1998م: **ديوانه**، شرح وتحقيق محمد التونجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

أوس بن حجر، 1960م:**ديوانه**، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت.

الباتري، محمد بن محمود، 1356هـ: **شرح العناية على الهداية**، المكتبة التجارية.

البزرة، أحمد مختار، 1985م: **أساليب التوكيد من خلال القران الكريم**، مؤسسة علوم القران، دمشق، الطبعة الأولى.

التبريزي، دت: **ديوان الحماسة**، دار القلم، بيروت، دط.

التغلبي، عمرو بن كلثوم، 1996: **ديوانه**، تحقيق رحاب عكّاوي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، البابي الحلبي، مصر.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **كتاب الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، لبنان.

الجبوري، أبو اليقظان عطية، 1986م: **اليمين والآثار المترتبة عليه**، دار الندوة الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية.

الجبوري، يحيى، 1994م: **الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)**، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة السابعة.

الجبوري، يحيى، 1997م: **المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.

الجُشمي، دريد بن الصمة، 1981م: **ديوانه**، تحقيق محمد خير البقاعي، قدّم له الدكتور شاكر الفحّام، دط.

حسان بن ثابت، دت: **ديوانه**، تحقيق سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة، دط.

حسين، حسين الحاج، 1988م: **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.

الحوفي، احمد محمد، 1956م: **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة، الطبعة الثالثة.

الخرنق بنت بدر بن هفان، 1996م: **ديوانها**، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية.

خليف، يوسف، دت: **دراسات في القرآن والحديث**، مكتبة غريب، الفجالة، دط.

الخنساء، تماضر بنت عمرو، 1988م: **ديوانها**، شرحه ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيّار الشيباني النحّوي، تحقيق أنور أبو سويلم، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى.

الدباسي، عبد الرحمن بن إبراهيم، 1996م: نيران العرب في الجاهلية (لمحات أسطورية)، **مجلة جامعة الملك سعود**، م8، الآداب (2)، ص311-349 .

ديب، الياس، 1984م: **أساليب التأكيد في اللغة العربية**، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى.

الذبياني، النابغة، 1986م: **ديوانه**، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت666هـ)، 1967م: **مختار الصحاح**، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

الربايعة، أحمد حمدان، 1974م: **المجتمع البدوي الأردني**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان.

الزبيدي، محمد مرتضى، 1944م: **تاج العروس من جواهر القاموس**، المطبعة الخيرية بمصر.

زهير بن أبي سلمى، 1992م: **ديوانه**، صنعة أبي العباس ثعلب، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

زيتوني، عبد الغني، 1987م: **الوثنية في الأدب الجاهلي**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

السامرائي، إبراهيم، 1983م: **من أساليب القرآن**، دار الفرقان، عمّان، الطبعة الأولى.

سلامة بن جندل: **ديوانه**، صنعة محمد بن الحسن الأحول، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

السلمي، العباس بن مرداس، 1991م: **ديوانه**، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

السّليك بن السلكة، 1994 م: **ديوانه**، قدم له وشرحه سعدي الضّناوي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

السنديوني، وفاء فهمي، 2000م: **شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام**، النشر العلمي والمطابع، الرياض، دط.

سيد سابق، دت: **فقه السنة**، دار الكتاب العربي، بيروت، دط.

السيوطي، جلال الدين، 1980م: **الإتقان في علوم القران**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت.

الشربيني، الشيخ محمد الخطيب: **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، دار الفكر، بيروت.

الشنفرى، 1991م: **ديوانه**، جمع وتحقيق وشرح د. أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

الشنقيطي، الشيخ أحمد بن الأمين، دت: **المعلقات العشر وأخبار شعرائها**، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، دط.

الضبعي، المتلمس، 1970م:**ديوان شعره**، رواية الأثرم وأبي عبيدة من الأصمعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دط.

الضبي، المفضل، دت: **المفضليات**، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، بيروت، دط.

الطائي أبي زبيد، 1967م: **شعره**، جمعه وحققه د. نوري حموري القيسي، مطبعة المعارف، بغداد.

الطائي، حاتم بن عبد الله، 1990 م: **ديوانه**، صنعة يحيى بن مدارك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة و تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية.

الطائي، زيد الخيل، 1968م: **ديوانه**، صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، دط.

طرفة بن العبد، 1975م: **ديوانه**، شرح الأعلم الشنتمرى، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط.

طريفي، محمد نبيل، 2004م: **ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

طفيل الغنوي، 1997م: **ديوانه**، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

عامر بن الطفيل، 1997 م: **ديوانه**، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق هدى جنهويشي. دار البشير، عمّان، الطبعة الأولى.

العامري، خداش بن زهير، 1986: **شعره**، تحقيق يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط.

العامري، لبيد بن ربيعة، 1984م: **ديوانه**، تحقيق احسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية.

العبادي، أحمد عويدي، 1983: **من الأدلة القضائية عند البدو في الأردن**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى.

العبادي، عدي بن زيد، دت: **ديوانه**، حققه وجمعه محمد جبّار المعيبد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، دط.

عبد الحليم، عبد الجليل، 1981م: **لغة القرآن الكريم**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الطبعة الأولى.

عبد الرحمن، عائشة، 1968م: **التفسير البياني للقران الكريم الجزء الثاني**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

عبد الرحمن، عائشة، 1984م: **الإعجاز البياني للقران ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

عبد الرحمن، عفيف، 1987م: **الأدب الجاهلي في آثار المدّارسين قديماً وحديثاً**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى.

عبد الرحمن، نصرت، 1983: حول دلالة "عَمرُ" في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، العددان(19، 20)، ص7-30.

العبسي، عنترة بن شداد، دت: **ديوانه**، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، دط.

عبيدات، محمود سالم، 1992م: **فقه الأيمان والنذور**، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى.

عروة بن الورد، دت: **ديوانه**، شرح ابن السكيت يعقوب بن إسحاق، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، دط.

عُضيمة، محمد عبد الخالق، دت: **دراسات لأسلوب القران الكريم**، دار الحديث، دط.

علي، جواد، 1980م: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثالثة.

عمرو بن قميئة، 1965م: **ديوانه**، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الحادي عشر.

عون، علي أبو القاسم، 1992م: **أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القران الكريم**، منشورات جامعة الفاتح.

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، دت: **القاموس المحيط**، دار الجيل، بيروت، دط.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب، دت: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق على محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دط.

القضاة، مفلح عواد، 1990: **البينات في المواد المدنية والتجارية**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الطبعة الأولى.

قيس بن الخطيم، 1967م:**ديوانه**، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية.

قيس بن زهير، دت: **شعره**، عادل جاسم البياتي، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، دط.

الكلبي، أبو منذر هشام بن محمد بن السائب، 1925م: **كتاب الأصنام**، تحقيق احمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

الكلبي، زهير بن جناب، 1999م: **ديوانة**، صنعه محمد شفيق البطار، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

الكندي، امرؤ القيس بن حجر، دت: **ديوانه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، دط.

مارديني، رغداء، 2002م: **شواعر الجاهلية (دراسة نقدية)**، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى.

المبّرد، أبو العباس محمد بن يزيد (210-285هـ)، 1399هـ:**كتاب المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عُضيمة، القاهرة.

محجوب، محمد عبدة، دت: **مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية**، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية.

المرّي، الحصين بن الحمام، 2002م: **الفارس الشاعر (سيرته وشعرة)**، جمع وتحقيق شريف علاونة، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، دط.

المسيب بن علَسَ، 1994م: **شعره**، جمعه وحققه ودرسه أنور أبو سويلم، منشورات جامعة مؤتة، الطبعة الأولى.

مشارقة، محمد زهير، 1988م: **الحياة الإجتماعية عند البدو في الـوطن العربـي**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى.

مصطفى، إبراهيم، الزيات، احمد حسن، عبد القادر، حامد، النجار، محمـد علـي، دت، **المعجم الوسيط**، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران، دط.

المعيني، عبد الحميد محمود، 1982: **شعر بني تميم في العصر الجاهلي**، منشورات نادي القصيم الأدبي"بريدة"، الإصدار رقم7.

مقداد، عبد الله جبريل، 1999م: **شعر يهود في الجاهليـة وصـدر الإسـلام**، دار عمّار، عمان، الطبعة الأولى.

مقداد، عبد الله جبريل، 2000م: **شعر قبيلة بكر بن وائل فـي الجاهليـة وصـدر الإسلام**، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى.

المهلهل، 1995 :**ديوانه** شرح أنطون محسن الفوّال، دار الجيل، بيـروت، الطبعـة الأولى.

المولى بك، محمد احمد جاد وآخرون، دت: **أيام العرب في الجاهليـة**، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، دط.

ميدان، ايمن محمد، 1995م: **شعر تغلب في الجاهليـة**، مراجعـة صـلاح الـدين الهادي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، الطبعة الأولى.

ناصيف، مصطفى، دت: **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، دار الأندلس، بيروت، دط.

النجيرمي، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله، 1382هـ: **أيمان العرب في الجاهليـة**، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الثانية.

النعيمي، أحمد إسماعيل، 1995م: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، سـينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى.

النمر بن تولب، دت: **شعره**، صنعه نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، دط.

نهر، هادي، 1987م:**التراكيب اللغوية في العربية**، مطبعة الإرشاد، بغداد، دط.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، 1347هـ، 1929م: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب القاهرية، القاهرة، الطبعة الثانية.

الهذلي، أبو ذؤيب، 1998م: **ديوانه**، شرحه وقدم له ووضع فهارسه سوهام المصري، عني بمراجعته وقدّم له ياسين الأيوبي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.

اليشكري، الحارث بن حلزة، 1991م: **ديوانه**، جمعه وحققه وشرحه أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

اليشكري، سويد بن أبي كاهل، 1972م: **ديوانه**، جمع وتحقيق شاكر العاشور، الطبعة الأولى.

يعقوب، عبد الكريم إبراهيم، 1982م: **أشعار العامرين الجاهلين**، دار الحوار، سوريا اللاذقية، الطبعة الأولى.